



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

مجلة معجم المخطوطات العربية

الجزء الأول

المجلد السادس والعشرون

جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ

مايو (أيار) ١٩٨٠ م

المخطوطات العربية في العالم

تطور فهرسة المخطوطات في العراق

ببلم : كوركيس حواد *

حاولنا غير مرة ، الإلمام بما تحتضنه مكتبات العراق من مخطوطات ،
فترأى لنا من خلال ذلك ، أن الأمر لا يتم إلا بتعيين مظان هذه
المخطوطات أولاً ، وبفهرسة مجاميع تلك المخطوطات ثانياً . وكانت أول محاولة
جرت لنا في هذا السبيل ، نبذة نشرناها قبل نحو من ربع قرن ، وسميتها
بـ « فهرس المخطوطات في العراق » (١) .

وبعد نحو من خمسة عشر عاماً ، عدنا إلى هذا الموضوع بالزيادة
والتنقيح ، فنشرنا مقالة ثانية بذلك العنوان نفسه (٢) .

وها نحن أولاء اليوم ، وقد خطا فن الفهرسة في العراق خطوات واسعة
في السنوات الأخيرة ، نعاود النظر في هذا الموضوع ، بما يتناسب وتقدم
الفهرسة على أيدي جماعة من المعنيين بهذا الفن ، وبازدياد عدد المكتبات
في ربوعه ، واتساع آفاق الثقافة بين أبنائه .

ولا أدل على تلك العناية البالغة ، من أن نوه بالنشرات الكثيرة المختلفة
المناحي ، التي أصدرتها طائفة من مكتبات العراق في أثناء السنوات العشر
الماضية ، كمطبوعات كل من المكتبة المركزية بجامعة بغداد ، والجامعة

* عضو المجمع العلمي العراقي ، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي (٢١) دمشق ١٩٤٦ (ص ٥٣٨ - ٥٤٣) .

(٢) المعارف . مجلة أصدرها محمد حسن آل الطالقاتي (النجف ١٩٦٠) العددان ٢ - ٣ ،

ص ٣١ - ٣٥٣) .

المستنصرية ، وجامعة البصرة ، ومكتبة المتحف العراقي ، ومكتبة الأوقاف العامة ، والمكتبة الوطنية ببغداد ، وغيرها .

اشتهرت بلدان العراق في الأزمنة القديمة التي سبقت عصر الميلاد بمكتبات كانت تزخر بها المعابد والقصور ودور السجلات ، وذلك في عهود السومريين والبابليين والآشوريين وغيرهم من الدول الغابرة التي حكمت بعض أمتائه . أما في الحقبة الممتدة بين بدء التاريخ الميلادي وظهور الإسلام ، فقد كانت هنالك مكتبات كثيرة كانت ترى في الغالب في المدارس والمعابد والديارات .

وبعد انتشار صناعة الورق في العراق ، في العصور الإسلامية ، ازداد عدد المخطوطات بسبب ازدهار الحركة الفكرية وكثرة العلماء والمؤلفين ، فاهتم الناس بجمع الكتب . فكثرت الخزائن الحافلة بالمخطوطات ولا سيما في المساجد والمدارس وسائر معاهد العلم . كما عني كثير من الناس بتكوين خزائن خاصة بهم ، كانوا يخزنونها في بيوتهم ، ويتنافسون في استجماع أمهات التصانيف ، ويغالون في اقتنائها ، ويبدلون الغالي والنفيس في سبيل إحرازها () .

ثم أصاب العراق نكبات ، فقل العلماء وقلت العناية بجمع الكتب ، ولكنها لم تعدم ، فقد بقي عدد من العلماء يؤلفون ويجمعون الكتب ، وظلت في كثير من الخزائن مكتبات موقوفة ولكنها قليلة .

أما في يومنا هذا ، فإننا نجد في سائر أنحاء العراق ، مكتبات كثيرة العدد زاخرة بالكتب ، ومن تلك المكتبات ، ما كان عاماً يؤمه المطالعون من أي صنف كانوا ، ومنها ما كان مرتبطاً بالجامعات والكليات والجامع

(١) فصلنا القول في تلك الخزائن القديمة الغابرة ، في كتابنا « خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة » . (مطبعة المعارف - بغداد ١٩٤٨ ، ص ٣٤٦) .

والمعاهد والمؤسسات العلمية ودواوين الدولة . ومنها ما يخص أفراداً من العلماء والباحثين ومحبي الكتب . ولا تخلو طائفة حسنة من هذه المكتبات العامة والخاصة من مخطوطات قيمة ، فيها النادر والنفيس والقديم والحدير بالتحقيق والنشر .

ومن يتبع شئون المخطوطات في العراق ، يجد أن العناية بفهرستها أخذت تزداد سنة بعد أخرى ، حتى صار في مقدورنا أن نعرّض على جملة صالحة من فهارس تلك المخطوطات . ومع ذلك ، ما زلنا نجد في ديار العراق مكتبات ذات مخطوطات حمة تنتظر من يعنى بفهرستها وتعريف كنواناتها للناس .

إن فهرسة المخطوطات العربية ، قد سارت بخطى سريعة واسعة في سائر أنحاء العالم . فإن كثيراً من العلماء والباحثين ، شريقين ومستشرقين ، قد أولوا هذا الأمر بالغ عنايةهم ، حتى وضعوا جمهرة كبيرة من المخطوطات التي ترى اليوم في القاهرة وإستانبول ودمشق وبغداد والموصل وحلب والإسكندرية ودمياط والنجف وتطوان والرباط وفاس وتونس والجزائر وبيروت والقدس وطورسينا وصنماء ومشهد وطشقند وبانكيور وغيرها من بلدان الشرق العربي والإسلامي .

كما وضعوا مجاميع واسعة النطاق مما في البلدان الأوربية من مخطوطات ولا سيما في برلين وباريس ولندن وليننغراد وأكسفرد وكبردج وليدن وليسيج وغوطا وفينا والفايتيكان والأسكوريال ودبلن وأبسالة . هذا فضلاً عن بعض المدن الأميركية كمدينة يرستن ونيوهافن وكليفلند وواشنطن .

إن الفهارس التي وضعت في صفة مخطوطات خزائن الشرق والغرب تعد من أنفس المراجع وأوثقها في الوقوف على دفائن تلك الخزائن .

ولقد عنى جماعة من أفاضل الباحثين ، بوضع دليل أو « فهرس عام » لهذه الفهارس التي تصف خاصة المخطوطات العربية المنبثة في أقطار المعمورة

أولهم الدكتور يوسف أسعد داغر . فقد صنف كتاباً حافلاً ، ، عنوانه « فهارس المكتبة العربية في الحافقين » . وطبعه في بيروت سنة ١٩٤٧ في ٢٠٢ ص (١) .

وتلاه المستشرقان الفرنسيان جورج فايدا ومادلين دورانتيه ، فنشرا فهرساً ضم بين دفتيه أسماء ما صنف من فهارس وأثبات للمخطوطات العربية شرقاً وغرباً ، وطبعاه في باريس سنة ١٩٤٩ (٢) .

وأعقبهم المستشرق الهولندي هويسمان ، فوضع فهرساً واسع النطاق ، أكمل من سابقه . وطبعه في ليدن سنة ١٩٦٧ (١) .

ولابد من أن ننوه في هذا الصدد بثلاثة مؤلفات عظيمة الشأن ، تدخل هذا المدخل . أعني أن مؤلفيها قد ذكروا في تضاعيف مصنفاتهم ، طائفة كبيرة من مخطوطات العراق . وإن كان ما ذكروه قد تشتت وتناثر في مختلف صفحات مؤلفاتهم . هذه الكتب الثلاثة هي :

(١) نوه بشيء مما نشر من فهارس المخطوطات في العراق ، في الصفحات ٣٨ و ٣٩ و ٥٢ .

(٢) VAJDA (GEORGES); DURANTET (MADELINE) : REPERTOIRE DES CATALOGUES ET INVENTAIRES DE MANUSCRITS ARABES. (PARIS, 1949 , 48.r) .

وقد نوها ببعض الفهارس العراقية ، في الصفحة ٢٤ الرقم ١٨٧ . والصفحة ٣٦ الرقم

. ٢٢ - ٢٥ .

(١) HUISMAN (A.J.W.) , LES MANUSCRITS ARABES DANS LE MONDE : UNE BIBLIOGRAPHIE DES CATALOGUES. (LEIDEN 1967; 99 p.

وقد نوّه بما وقف عليه من فهارس عراقية ، في الصفحات ٤٤ - ٤٦ .

١- تاريخ الأدب العربي (١) : تأليف المستشرق الألماني كارل بروكلمان ، المتوفى سنة ١٩٥٦ •

طبع متن الكتاب ثانية في مجلدين (ليدن ١٩٤٣ - ١٩٤٩) . وطبع «الذيل» عليه في ثلاثة مجلدات ضخام (ليدن ١٩٣٧ - ١٩٤٢) :

٢- الذريعة إلى تصانيف الشيعة : تأليف الشيخ أغا بزرك الطهراني ، المتوفى سنة ١٩٧٠ . وقد طبع منه عشرون جزءاً تقع في ثلاثة وعشرين مجلداً . (النجف - طهران ١٩٣٦ - ١٩٦٩) ، ولم يكمل طبعه :

٣- تاريخ الآداب العربية (٢) تأليف العالم التركي فؤاد سزكين : صدر مجلده الأول في ليدن سنة ١٩٦٧ ، ويشتمل على علوم القرآن والحديث والتاريخ والفقه والعقائد والتصوف .

لقد حاولنا في هذا البحث ، أن نستقصى ذكر ما ألف من «فهارس» المخطوطات التي تحوزها مكتبات العراق . فأصبنا منها بالبحث المتواصل ، شيئاً لا يستهان به . ورأينا ، تسهلاً لرجوع القارئ ، أن نبوب بحثنا هذا ، على وفق السياقة الهجائية لمطابق تلك المخطوطات المفهرسة .

والمواطن العراقية التي تدخر جانباً من هذه المخطوطات ، هي : البصرة ، بغداد ، تلكيف ، دير السيدة ، دير مار بهنام ، دير مارمطي ، زاخو ، سامراء ، حقرة ، قررة قوش ، الكاظمية ، كربلاء ، كركوك ، مندلي ، الموصل ، النجف :

BROCKEMANN (CARL) ; GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR. (5VOLS, LEIDEN, 1937. 1949).

SESGIN (FUAT), GESCHICHTE DES ARABISCHEN SCHRIFFTUMS. (VoL. I., LEIDEN, 1967).

البصرة

تزرخ مدينة البصرة بجملة مكنتبات ، عامة وخاصة ، ولا يخلو بعضها من مخطوطات ، وقد اشتهرت من بينها بمخطوطاتها :

١ - المكتبة العباسية :

وهى خزانة أسرة باش أعيان العباسى المعروفة . تعد من أوسع مكنتبات البصرة وأبعدها شهرة . فيها نحو من (١٥٠٠) مخطوط ، لم يصدر فى وصفها جميعاً فهرس كامل ، وإنما نشر بعض الباحثين نبذاً ومقالات فى التعريف بجملة صالحة من تلك المخطوطات وهذا ما وقفنا عليه منها :

١ - أشارت مجلة العرفان (١) ، إلى ست من نفائس مخطوطات هذه المكتبة .

٢ - وصف على الخاقانى ، فى خمس مقالات نشرها فى مجلة الغربى (٢) . (٤١) مجلداً من مخطوطات هذه المكتبة .

٣ - فى مقالنا الموسوم « مدينة البصرة : مكنتباتها ومخطوطاتها » ، المنشورة سنة ١٩٥٥ (١) . نوهنا بسبع عشرة مخطوطة تحرزها هذه المكتبة .

٤ - أعاد على الخاقانى الاهتمام بمخطوطات هذه المكتبة ، فأمضى فى

(١) العرفان : (٢٧) صيدا ١٩٣٧ (ص ٢٣٣) .

(٢) الغربى (٨) النجف ١٩٤٦ - ١٩٤٧ (ص ٥٩ - ٦٠ ، ٩٣ - ٩٤ ، ١٢٣ - ١٢٤ ، ١٤٩ ، ١٦٩ - ١٧٠) .

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية . (١) القاهرة ١٩٥٥ (٣٦٣ - ١٦٩) . المراجعة فى

أرجائها أكثر من شهرين ، عرف في أثنائها بما وقف عليه من مخطوطات ، وهي تناهز (١٥٠٠) مخطوط بين كبير وصغير ، منها ما قد طبع ومنها ما لم يطبع . وقام من هذه الدراسة كتاب يقع في ٣٢٢ صفحة كبيرة ، طبع منه قسمان ت ضمنا وصف ٧٩١ مخطوطة (٢) .

٥- نوه مصطفى مرتضى الموسوي ، بثماني عشرة مخطوطة من هذه المكتبة ، في حملة ما صورته اليونسكو من مكاتب العراق (٣) :

٢- مكتبة محمد أحمد الخامي :

كان في هذه المكتبة مجموعة من المخطوطات العربية والفارسية ، عندي فيها فهرس مخطوط تاريخه ٢٠ آذار ١٩٦٣ ، منقول عن نسخة مكتوبة بالآلة السكّاتبة لدى الأستاذ حسين الشيخ خزعل . ويتضمن التنويه بـ (٤٩٤) مخطوطة ، منها (٤٠٠) مخطوطة عربية و(٩٤) فارسية .

وكنا قد نوهنا بست عشرة مخطوطة في مقالنا المذكور آنفاً (٤) :

وقد اقتنت جامعة البصرة هذه المجموعة الخطية ، وضمتها إلى مكتبتها المركزية (٥) .

وأشار مصطفى مرتضى الموسوي إلى (١٤) مخطوطة من هذه المكتبة ،

(٢) مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة . (مجلة المجمع العلمي العراق ٨ (١٩٦١) ص ٢١٨-٣١٣ ، ٩ (١٩٦٢) ص ٣٦٥-٤٢٨) . وقد أفرّد ذلك في رسالتين طبعتا في مطبعة المجمع العلمي العراقي . (بغداد ١٩٦١-١٩٦٢ ، ٩٨ و١٣٦ ص) .

(٣) فهرست المخطوطات العربية المصورة في العراق من قبل اليونسكو . (مطبوع بالرونيو - بغداد ١٩٦٨ ، ص ٦١-٦٢) .

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (١ : ١٦٦-١٦٧) .

(٥) أصدرت هذه المكتبة ثبناً مطبوعاً بالرونيو ، نوهت فيه بمخطوطات هذه المجموعة المقتناة .

وهي مما صورتها أيضاً اليونسكو (١) .

٣- المكتبة المركزية لجامعة البصرة :

فيها أيضاً (٦٣) مخطوطة ، وضعها صباح محمد علي كاظم ، في فهرست
طبعته المكتبة بالرونيو (٢) .

وذكر مصطفى مرتضى الموسوي (١٢) مخطوطة صورت من هذه
المكتبة (٣) .

٤- مكتبة آل القزويني :

أنشأها السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني ، المتوفى سنة ١٩٣٩ .
وقد آلت إلى ولده السيد أمير محمد مهدي القزويني . فيها نحو من مئة
مخطوطة ، ذكرنا منها (٢٥) مخطوطة في بحثنا المشار إليه عن مكنتات
البصرة (٤) .

٥- مكتبة اللواء المركزية العامة بالبصرة :

فيها شيء من المخطوطات ، نوه مصطفى مرتضى الموسوي بثلاث
منها (٥) .

(١) فهرست المخطوطات العربية المصورة في العراق . (ص ٦٥) .

(٢) فهرست المخطوطات العربية في خزانة المكتبة المركزية لجامعة البصرة (البصرة .
تموز ١٩٦٨ ، ١٨ ص) .

(٣) فهرست المخطوطات العربية المصورة . (ص ١٩٦٣) .

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (١ : ١٦٨ - ١٦٩) .

(٥) فهرست المخطوطات العربية المصورة في العراق . (ص ٦٤) .

بغداد

لا ريب أن مدينة بغداد ، أغنى مدن العراق بمكتباتها المختلفة ، وبالثروة الخطية العظيمة التي تحرزها تلك المكتبات . وسنتناول بالبحث مجاميعها المخطوطة التي وضع لها فهراس وأثبت . وقد صنفنا تلك المجاميع الخطية إلى صنفين أساسيين .

الأول : المخطوطات العائدة إلى المكتبات العامة وشبه العامة والتابعة لساتر المؤسسات العلمية والثقافية والدينية ؛

الثاني : المخطوطات العائدة إلى المكتبات الخاصة . وهي التي يحرزها جماعة من الناس المعنيين بشؤون المخطوطات ، المكلفين باستجماعها . وقد رتبنا مجاميع كلا الصنفين على وفق السياق الهجائي لأسماء أصحابها .

أولاً : فهراس مخطوطات المكتبات العامة وما إليها :

١ - مكتبة الآثار :

وتعرف بـ « مكتبة المتحف العراقي » التابعة لمديرية الآثار العامة . بلغ مجموع ما فيها اليوم من مخطوطات (٦٤٨٢) مخطوطة ، بينها نوادر ونفائس مختلفة . ويدخل في ضمنها ، مجموعة مخطوطات مكتبة كل من الأب أنستانس ماري الكرملي ، ويعقوب سركيس ، ورشيد عالي الكيلاني ، والملا صابر ، وأحمد نيازي ، وغيرهم ممن آلت مكتباتهم إلى هذه المكتبة . هذا إلى ما اقتنته الآثار من مخطوطات طوال السنوات الأربعين الماضية ، وإلى ما توارد إليها من هدايا وهبات خطية متفرقة :

ولم يتأت نشر فهراس كاملة تستوعب ذكر مخطوطاتها كافة : على أن لجميع هذه المخطوطات سجلاً عاماً مخطوطاً ، هذا إلى فهرس مكتوب على بطاقات ومصنف وفقاً لأسماء المؤلفين ، ولعناوين الكتب ، وللموضوعات .

أما المنشور من « فهارس » و « أثبات » جزئية لمخطوطات هذه المكتبة ،
ففي وسعنا التنويه به في ما يأتي :

١ - فهرس المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد : من
تأليفنا . صدر منه الأجزاء الآتية :

أولاً : المخطوطات التاريخية : نشرناه في مجلة « سومر » (١٣) ١٩٥٧
(ص ٤٠ - ٨٢) . ثم أفردناه في رسالة . . (مطبعة الرابطة - بغداد
١٩٥٧ ، ٤٤ ص) . وقد وصفنا فيه (٢٠٤) مخطوطات تبحث في
التاريخ والأخبار والتراجم والسير .

ثانياً : المخطوطات الأدبية : نشرناه في سومر (١٤) (١٩٥٨) ص ١٢٧ -
(١٧٩) . ثم أفردناه في رسالة عل غرار سابقة . (مطبعة الرابطة ببغداد
١٩٥٨ ، ٥٣ ص) . وصفنا فيه (٢٨١) مخطوطة تتناول دواوين
الشعر والحاميع الشعرية وسائر كتب الأدب المنثور .

ثالثاً : مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة : نشرناه أيضاً في سومر ١٥
(١٩٥٩) ص ٢٥ - ٥٢) . ثم أفردناه في رسالة كالقسمين السابقين .
(مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥٩ ، ٢٨ ص) . وقد وضعنا فيه
(١١٧) مخطوطة في الطب والتشريح والمواد الطبية والبيطرة .

فجموع ما فهرسناه في هذه الأقسام الثلاثة من مخطوطات مكتبة الآثار ،
قد بلغ ستائة ومخطوطتين .

٢ - وفي مقالنا « مخطوطات مكتبة المتحف العراقي » المنشور في مجلة
معهد المخطوطات العربية (١) (١٩٥٥) ص ٣٧ - ٤٨) ، نوهنا بنحو من
سبعين مخطوطة متنوعة مما في هذه المكتبة .

٣ - ومثل ذلك ، ما صنعنا في بحثنا الموسوم بـ « مكتبة المتحف العراقي

في ماضيها وحاضرها (١) . فقد ذكرنا فيه (سومر ١١) (١٩٥٥)
ص ١٣٥ - ١٣٩) من نفائس مخطوطات هذه المكتبة (٥٩) مخطوطة حرية
بالعناية والتحقيق .

٤- وكنا نشرنا بحثاً بعنوان « مخطوطات الكرمليين في خزانة المتحف
العراقي » (سومر ٧) ١٩٥١ (ص ٢٧٨ - ٢٨٣) ، ونوهنا فيه بست
وعشرين من أمهات تلك المخطوطات .

٥- ونشر عبد الحميد الدجيلي (٢) ، بحثاً بعنوان « مخطوطات ثمينة
في خزانة المتحف العراقي » (سومر ٧) (١٩٥١) (ص ٢٨٤-٢٩٣) ،
وصف فيه إحدى عشرة مخطوطة نادرة من مكتبة الأب أنستاس ماري
الكرملي ، المهداة ، بعد وفاته ، إلى مكتبة المتحف على ما ذكرنا .

٦- وله أيضاً (سومر ٦) (١٩٥٠) ص ٢٢٠ - ٢٢٣) وصف لكتاب
« التاريخ الغيائي » وهو أحد مخطوطات هذه المكتبة .

٧- ونشر بحثاً آخر في التعريف ببعض مخطوطات هذه المكتبة ،
عنوانه « رسائل إسماعيلية قديمة نادرة » (٣) ، وصف فيه ستة مجاميع خطية
تدخل في هذا الموضوع .

٨- ووصف عبد الكريم الدجيلي ، نسخة خطية من « ديوان أبي الأسود
الدؤلي » تحرزها هذه المكتبة ، وذلك في المقدمة التي صدر بها طبعته لهذا
الديوان (٤) .

(١) أفردناه في رسالة طبعت في بغداد سنة ١٩٥٥ .

(٢) توفي سنة ١٩٦١ .

(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي (٣) (١٩٥٥) ص ٤٠٥-٤٢١ (١٩٥٦) ص ٢٥١-

(٢٦٤) .

(٤) ديوان أبي الأسود الدؤلي . . (بغداد ١٩٥٤ ، الصفحة ف - رمن المقدمة) .

٩- وللدكتور حسين علي محفوظ ، مقالة بالفارسية ، عنوانها « كتب خطي فارسي دركتا بخانه موزة عراق در بغداد » (مجلة دانش ٣ طهران ١٩٥٥ ص ٦٢٨ - ٦٣٦) ، أشار فيها إلى (٩٤) مخطوطة فارسية تحرزها مكتبة المتحف العراقي :

١٠- ونوه السيد ناصر التقشبندي (١) في بحثه الموسوم بـ « المصاحف الكريمة في صدر الإسلام » (سومر ١٢ (١٩٥٦) ص ٣٣ - ٣٧) ، بأربع قطع قديمة من المصاحف المكتوبة بالخط الكوفي ، وهي من مكونات هذه المكتبة .

١١- ووصف خضر الطائي ورشيد العبيدي ، ثلاث نسخ خطية من « ديوان العرجي » في هذه المكتبة ، وذلك في المقدمة التي صدرت بها طبعتهما لهذا الديوان (٢) :

١٢- ووصف المستشرق ولهم هونرباخ ، في بحث له بالألمانية ، جملة مخطوطات في خزائن كتب بغداد وتطوان ، منشور في مجلة الشرق (أوريانس) (٣) التي كان يصدرها المستشرق هلموت ريتز . ومن تلك المخطوطات ، ست في هذه المكتبة ، وهي على التوالي ، ذوات الأرقام ٦٨٤ ، ٦٢٨ ، ٤٦٢ ، ٦ ، ٣٤٠ ، ٥٤٥ .

١٣- وفي سنة ١٩٣٨ ، نشرنا وصفاً لنسخة خطية من « تاريخ واسط »

(١) توفي سنة ١٩٦٢ .

(٢) ديوان العرجي . (بغداد ١٩٥٦ . الصفحة ٤٠ - ٤٤ من المقدمة) .

(٣)

تأليف أسلم بن سهيل الرزاز الواسطي المعروف ببجشل (١) ، دخلت هذه المكتبة ، وهي منقولة عن نسخة فريدة قديمة في مكتبة الأزهر .

١٤ - وهناك « فهرست » بأسماء مخطوطات أحمد عبد الوهاب نيازي ببغداد ، التي آلت إلى مكتبة المتحف العراقي . وقد وضعته المحكمة الشرعية ببغداد وطبعته بالرونيو في ١٩ صفحة . وقد ذكر فيه (٢٩٣) مخطوطة .

١٥ - ونوه مصطفى الموسوي ، بـ (١٨٦) مخطوطة في هذه المكتبة مما صورته اليونسكو من أمهات مكتبات العراق . (٢) .

١٦ - ووضعنا « قائمة بما يحسن تصويره من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي » مما وقع عليه اختيارنا ، وتم تصويرها من قبل بعثة اليونسكو . وعددها (١٤٩) مخطوطة تعد من الأعلام النفيسة في هذه المكتبة ، وقد طبعت القائمة بالرونيو سنة ١٩٦٨ .

١٧ - وهناك « دليل معرض المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي » وقد طبع بالرونيو (بغداد ١٩٦٩ ، ١٩ ص) . يحتوي على ذكر (٥٧) مخطوطة .

١٨ - ونشر عادل كامل الآلوسي ، مقالة بعنوان الاختار من مخطوطات

(١) عواد (كوركيس) : مخطوطة في تاريخ واسط مدينة الحجاج . (الأخبار الأسبوعية مجلة كان يصدرها روفائيل بطي في بغداد) . الأعداد ٧ و ٨ و ٩ الصادرة في ٢٢ و ٢٣ تشرين الأول و ٥ تشرين الثاني ١٩٣٨ ص ١٨ - ١٩ ، ١٧ - ١٨ ، ١٨ - ١٩ . وقد تلخصنا وصف هذه المخطوطة ، والنسخة المصورة عن الأصل ، في مقدمة طبعتنا لتاريخ واسط (بغداد) ١٩٦٧ ، ص ٥ - ٩ من المقدمة .

(٢) فهرست المخطوطات العربية المصورة في العراق . (ص ١ - ١٢) .

خزانة الكرملى فى مكتبة المتحف العراقى (١) ، نوه فىها بـ (٥٥) مخطوطة كانت فى مكتبة الأب أنستاس مارى الكرملى ، المهداة إلى مكتبة المتحف على ما أسلفنا .

١٩ - ومن أحدث ما وضع من فهراس لمخطوطات هذه المكتبة ، الفهرس الموسوم بـ « المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى » (٢) . تأليف أسامة ناصر التقشبندى . وقد وصف فىه (٥٠٣) مخطوطات تدور حول النحو ، والصرف ، وفقه اللغة ، ومعجماتها ، والبلاغة ، والعروض والقوافى .

٢٠ - بعد أن توفى يعقوب سركىس فى سنة ١٩٥٩ ، أهدى ذوهه مكتبته ، إلى جامعة الحكمة فى بغداد . وقد عهدت إلى رئاسة تلك الجامعة بفرسة ما فى تلك المكتبة من مخطوطات فصنفت فهرساً مفصلاً تولت تلك الجامعة نشره (٣) . وقد تضمن صفة (٣٢٧) مجلد مخطوطاً ، أكثرها باللغة العربية ، وأقلها بلغات شرقية أخرى : التركية والفارسية والسريانية . وبعد إلغاء جامعة الحكمة ، لبثت تلك المكتبة مخزونة فى موضعها ، حتى استقر الرأى على نقلها برمتها إلى مكتبة المتحف العراقى . وقد تم ذلك فى سنة ١٩٧١ ، فأصبحت جزءاً منها .

٢١ - وكانت تلك الجامعة ، قد نشرت لنا أيضاً ، فهرساً مقتضباً

(١) مجلة « الأعلام » (٦ بغداد : آذار ١٩٧٠ الجزء ٦ ص ٦٤ - ٨٠) .

(٢) نشرته مديرية الآثار العامة . (مطابع دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٩ ، ١٩٠ ص - ١٦ لوحاً) .

(٣) فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركىس المهداة إلى جامعة الحكمة ببغداد . (مطبعة المائى - بغداد ١٩٦٦ ، ص ٢٢٤) .

بأسماء مخطوطات خزانة سركيس ، رتبنا فيه تلك المخطوطات على السياق
المجائى (١) .

٢- مكتبة الأوقاف العامة :

تضم هذه المكتبة اليوم ، (٥٢٠٠) مخطوطة (٢) ، وفيها جملة صالحة
من المؤلفات النفيسة ذوات الخطوط القديمة . وقد استجمعت في سنة ١٩٢٨
من مكاتب بغدادية كانت مدخرة في بعض الجوامع والمدارس والتكايا
البغدادية ، وهي :

- ١- جامع الكهيا .
- ٢- جامع الحيدر خانة .
- ٣- جامع السراس .
- ٤- جامع الباجه جى .
- ٥- جامع الإمام الأعظم أبى حنيفة
- ٦- مدرسة نائلة خاتون (وتسمى أيضاً المدرسة المرادية)
- ٧- المدرسة السليمانية .
- ٨- المدرسة المرجانية .
- ٩- التكية الخالدة النقشبندية

(١) فهرست مجموعة مخطوطات يعقوب سركيس في مكتبة جامعة الحكمة . (مطبوع
بالرونيو ، بغداد ١٩٦٣ ، ١٢ ص) .
(٢) مجلة « الرسالة الإسلامية » (٤) (بغداد ١٩٧١) العدد ٣٨ - ٣٩ ، ص ٩٠)

ثم أضيفت إليها ، فيما بعد ، مكتبات أخرى على ما سيجيء بنا .
وقد نشر في مخطوطات هذه المكتبة حملة فهارس ، وهي :

١ - كانت مديرية الأوقاف العامة ، قد عهدت إلى كاتب هذه السطور في سنة ١٩٤٧ ، بتنظيم هذه المكتبة وتنسيقها ، فأتاح لنا هذا العمل ، الاطلاع على ما فيها من مخطوطات ، وهياً لنا وضع « فهرس » بأقدم ما تضمه منها ، نشرناه في مجلة « سومر » وقد استغرق منها (٩١) صفحة كبيرة بعنوان « أقدم المخطوطات في خزانة الأوقاف العامة ببغداد » .
وقد ظهر في ثلاثة أقسام على النحو الآتي :

١ - مخطوطات المئة الخامسة والسادسة والسابعة للهجرة (١) .

٢ - مخطوطات المئة الثامنة للهجرة (٢) .

٣ - مخطوطات المئة التاسعة والعاشر للهجرة (٣) .

وقد وضعنا في هذا الفهرس (٢٢٦) مخطوطة أثرية ، كتبت قبل سنة ١٠٠٠ للهجرة . وهو أول فهرس ينشر في التعريف بطائفة من مخطوطات هذه المكتبة . وقد ازدان قسمه الأول باثنتي عشرة صورة تمثل أتمودجات من أقدم الخطوط في هذه المجموعة . وكانت مجلة « الأندلس » التي تصدر بالإسبانية في مدريد ، قد نوهت مرتين بهذا الفهرس (٤) وأشارت إلى ما فيه من مؤلفات أندلسية وهي (١٢) كتاباً .

(١) سومر (٣) (١٩٤٧) ص (٢٣٦-٢٦٩) .

(٢) سومر (٤) (١٩٤٨) ص (١١٣-١٣٥) .

(٣) سومر (٤) (١٩٤٨) ص (٢٢٠-٢٥٣) .

(٤)

٢- وعنى الدكتور محمد أسعد طلس (١) ، فى أثناء مكثه فى العراق بمخطوطات هذه المكتبة ، فوضع لها فهرساً شاملاً بعنوان « الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف » (٢) . وصف فيه (٣٦١٤) مخطوطة ، وصدرة بمقدمة فى التعريف بالمعاهد التى استجمعت منها خزائن كتب الأوقاف ، وألحقه بفهارس هجائية للأعلام ، وأسماء الكتب ، والأماكن والموضوعات .

٣- واهتم عبدالله الجبورى ، أمين مكتبة الأوقاف السابق ، بفهرسة ما أضيف إلى هذه المكتبة من مخطوطات ، من بعد طبع الفهرس السابق ، فصنف كتاب « المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف » (٣) . . وقد وصف فيه (٤٠٧) مخطوطات ، جىء بها من المواضيع الآتية :

- ١- جامع المصرف .
 - ٢- جامع القبلاية .
 - ٣- جامع الآصفية .
 - ٤- خزانة محمد سعيد الطبقجلى (المتوفى سنة ١٨٤٩) .
 - ٥- خزانة عبد الحليم الخاقانى (المتوفى سنة ١٩٤٣) .
 - ٦- خزانة على حيدر الباجه جى (المتوفى سنة ١٩٥١) .
- ومن مزايا هذا الفهرس ، أن صاحبه أصلح (ص ٣٧٣ - ٣٨٢)

(١) توفى سنة ١٩٥٩ .

(٢) تولت نشره مديرية الأوقاف العامة . (مطبعة المانى - بغداد ١٩٥٣ ، ص ٣٢٩)

(٣) مطبعة المعارف - (بغداد ١٩٦٥ ، ٤١٢ ص) .

ما وقع في «الكشاف» من هنات وأوهام . وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على طبع هذا الفهرس .

٤- ولم تقف المهمة بعبد الله الجبوري عند وضع «المستدرک» بل صنف فهرساً آخر وسماه بـ «فهرس مخطوطات حسن الأنكرلى المهداة إلى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد» (١) وصف فيه (١٥٦) مخطوطة كانت سابقاً في مكتبة حسن بن محمد بن رجب الموصلى البغدادى ، الشهرير بالأنكرلى ، المتوفى سنة ١٣٤٤ هـ . وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على طبع هذا الفهرس .

٥- ووصف هونرباخ ، في بحثه المنشور في مجلة «أوريانس» وقد سبقت الإشارة إليه ، مخطوطتين من مكتبة الأوقاف .

٦- وفي القائمة التي وضعناها في ما يحسن تصويره من مخطوطات ، وقد مر ذكرها (٤٨) مخطوطة نادرة وقع اختيارنا عليها من مخطوطات هذه المكتبة .

٧- ونوه مصطفي الموسوي ، بـ (٤٣) مخطوطة من هذه المكتبة . (٢) .

٨- ونوه عبدالله الجبوري في بحثه الموسوم «بمكتبة الأوقاف ونوادير مخطوطاتها» بثمانية كتب مخطوطة نادرة (٣) .

٣- مخطوطات جامع السيد سلطان على :

تولى عماد عبد السلام رؤوف ، فهرسة مخطوطات هذا الجامع ، في

(١) مطبعة الآداب - (النجف ١٩٦٧ ، ٣٤٣ ص) .

(٢) يستثنى من ذلك ثلاث مخطوطات : إحداها مصوره أهداها أحمد تيمور باشا . والثانية صورت عن مخطوطة في مكتبة كوبرلى باستانبول . والثالثة أهداها مكى الجميل ببغداد .

(٣) فهرست المخطوطات العربية المصورة في العراق . (ص ١٣ - ١٥) .

بحثه المرسوم بـ « الآثار الخفية في جامع السيد سلطان على ببغداد » (١) مجموع ما وضعه (٨٥) مخطوطة .

٤ - المكتبة القادرية :

وهي في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد . فيها مجموعة كبيرة من المخطوطات ، تولى الشيخ إبراهيم عبد الغنى الدرؤبي ، فهرسة (٦٥٨) منها . وعندى نسخة مخطوطة من هذا الفهرست . ولم يطبع .

ونوه مصطفى الموسوي بـ (٢١) مخطوطة صورت من هذه المكتبة ، في الفهرست الذي صنّفه ، وقد أشرنا إليه سابقاً (٢) .

٥ - مكتبة الكرملين ببغداد :

في سنة ١٩٤٩ ، أهدى الآباء الكرمليون ، إلى مكتبة المتحف العراقي ، معظم القسم العربي من « مكتبة الآباء الكرملين » في بغداد ، التي كان قد جمعها للدير ، الأب أنستاس ماري الكرملى (٣) ، وفيها المخطوط والمطبوع . وللمخطوطات ، قبل أن تهدي ، فهرس قديم لم يعرف واضعه ، يقع في ثلاثة أجزاء لم تطبع ، حوى ذكر ما اشتملت عليه تلك المكتبة ، وكان

(١) مجلة « الأعلام » (١) (بغداد ١٩٦٥) الجزء ٧ ص ٨٥ - ٩٦ .

(٢) مجلة « المكتبة » التي تصدرها مكتبة المثنى ببغداد . (٧) (١٩٦٧) العدد ٥٧ ص ٢٢ - ٢٣ ، ٨ (١٩٦٧ - ١٩٦٨) العدد ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ وصفحاتها على التوالي ٢٢ - ٢٣ ، ٢٤ - ٢٥ ، ١٦ - ١٧ ، ٢٨ - ٢٩ ، ٢٠ - ٢١ ، ٩ (١٩٦٨) العدد ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ وصفحاتها على التوالي ٣٤ - ٣٥ ، ٣٥ - ٣٠ ، ٣٢ - ١٦ - ١٧ ، ١٠ (١٩٧٠) العدد ٦٨ ص ١٦ - ١٧ .

(٣) فهرست المخطوطات العربية المصورة (ص ٢٣ - ٢٤) .

(٤) توفي سنة ١٩٤٧ .

عدددها نحواً من (١٥٠٠) مجلد مخطوط . وفيه - على ما بان لنا - أوهام وأغلاط مختلفة . ثم إن بعض ما ذكر فيه قد بيع أو فقد قبل وفاة الأب أنستاس .

بلغ عدد المخطوطات المهداة إلى مكتبة المتحف العراقي (١٣٣٥) . وقد سبقت إشارات إليها في كلامنا على « مكتبة الآثار » ولا سيما ما جاء في الفقرات ٤ و ٥ و ٦ و ٨ .

وكان الأب أنستاس ، قد نشر فهرساً لمخطوطات ، لم تهد فيما أهدى إلى مكتبة الآثار ، تلك هي المخطوطات العربية النصرانية . فظهر وصفها في نيف وعشرين مقالة قصيرة ، في « نشرة الأحد » المحلة الأسبوعية التي كانت تصدر في بغداد (٢) .

وصنف حكمت رحمانى « فهرست مخطوطات دير الآباء الكرملين » ببغداد وهو يتضمن وصف (٤٢) مخطوطة ، مما لم تفهرس من قبل ، وبينها ما كان بخط الأب أنستاس ، ومنها بخط غيره ، وقد أخبرنى مؤلف هذا الفهرس أنه سينشره عما قريب .

٦ - مكتبة كلية الآداب - بجامعة بغداد :

لم تكن هذه المكتبة تحرز شيئاً من المخطوطات . ولكن ما فيها منها الآن ، إنما انتقل إليها من « مكتبة معهد الدراسات الإسلامية العليا » الذى ألفتها جامعة بغداد سنة ١٩٦٩ .

تألف هذه المخطوطات من بضع مجموعات ، كانت فيما مضى تعود إلى بعض الباحثين ، ثم اقتناها منهم المعهد المذكور ، فاجتمع لديه منها (١٤٨٣) مخطوطة . وفي ما يأتى إحصاء إجمالى لهذه المجموعات :

(٢) نشرة الأحد . (المجلدات ٨ و ٩ و ١٠ الصادرة سنة ١٩٢٩ - ١٩٣١) .

- ١ - مجموعة كوركيس عواد : وعددها (٥٨٦) مخطوطة (١)
- ٢ - مجموعة يوسف مسكوني : وعددها (٢٥٤) مخطوطة (٢) .
- ٣ - مجموعة ميخائيل عواد : وعددها (٣٤٩) مخطوطة (٣)
- ٤ - مجموعة حسين علي محفوظ : وعددها (٢٠١) مخطوطة (٤)
- ٥ - مخطوطات متفرقة اقتناها المعهد بصورة فردية : وعددها (٩٣) مخطوطة (٥) .

٧ - مكتبة كلية الطب - بجامعة بغداد :

في هذه المكتبة جملة مخطوطات تبحث في الطب ، صنعنا لها فهرساً بعنوان « فهرس المخطوطات الموجودة في مكتبة كلية الطب » وفيه صفة ٢٣ مخطوطة (٦) .

٨ - مخطوطات كنيسة أم الأحزان في بغداد :

في هذه الكنيسة ، عشرات المخطوطات باللغة الكلدانية ، عندي فهرس باثنتي عشرة مخطوطة منها .

-
- (١) المخطوطات العربية في معهد الدراسات الإسلامية العليا ببغداد . تقديم الدكتور صالح أحمد العلي . (مطبوع بالزيروكس . بغداد . ص ١ - ٥٢) .
 - (٢) المصدر السابق . (ص ٥٣ - ٧٧) . وقد توفي صاحبها سنة ١٩٧١ .
 - (٣) المصدر السابق . (ص ٧٨ - ١١١) .
 - (٤) المصدر السابق . (ص ١١٢ - ١٢٥) .
 - (٥) المصدر السابق . (ص ١٢٦ - ١٢٩) .
 - (٦) نشرته مكتبة تلك الكلية بالرونيو . (بغداد ١٩٧٠ ، ١٦ ص) .

٩ - مخطوطات مكتبة المجمع العلمي العراقي :

معظمها مصور بالفوتستات أو بالميكرو فيلم . ويبلغ مجموعها (٦٢٥) مخطوطة وضع فيها صبيح رديف ، أمين المكتبة السابق ، فهرساً ، ولم يطبع .

١٠ - المكتبة المركزية - جامعة بغداد :

أحرزت هذه المكتبة مجموعة كاملة من أفلام المخطوطات التي صورتها بعثة اليونسكو التي قدمت إلى العراق . وقد عنيت الآنسة زاهدة إبراهيم ، رئيسة قسم الفهرسة العربية في هذه المكتبة ، بفهرسة هذه المصورات في كتابها « فهرست المخطوطات العربية المصورة في العراق والموجودة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد » . وقد تولت المكتبة المركزية طبعه بالرونو سنة ١٩٧٠ ، في ١٣٣ صفحة .

١١ - مكتبة معارف بغداد :

عندى فهرس مخطوط ، بخط السيد محمود شكرى الألوسى (١) ، ولعلمه من وضعه ، عنوانه « سجل خزانة كتب معارف بغداد » ، قال إن تلك المخطوطات المذكورة فيه ، وقد جمعت من مدارس شتى ، وذلك في أيام ولاية صاحب الدولة تقي الدين باشا ، سنة ١٣٠٠ هـ . وهو يقع في أربع صفحات كبيرة . ولا نعلم شيئاً عن مصير تلك المخطوطات .

ثانياً : فهارس مخطوطات المكتبات الخاصة في بغداد :

١ - مخطوطات إبراهيم الدروبي (٢) :

(١) توفي سنة ١٩٢٤ .

(٢) قلنا أنه توفي سنة ١٩٥٩ .

في مكتبته (٧١) مخطوطة ، وضع في التعريف بها فهرساً ، عندنا نسخة منه ، ولم يطبع .

٢ - مخطوطات ابراهيم الواعظ (١) :

احتوت مكتبته على (١٠٣) مخطوطات ، صنع لها صاحبها - تليسة ررغبنا - فهرساً حسناً لم يطبع . وعندنا نسخة منه .

٣ - مخطوطات سعيد النقشبندی :

في مكتبته (١١٠٠) مخطوطة عربية ، صنع لها ابراهيم الدروبي ، فهرساً لم يطبع . وبين هذه المخطوطات جملة نوادر . وعندنا نسخة منه .

٤ - مخطوطات آل السهروردي :

وهم : محمد محسن السهروردي ، وعبد الرحمن السهروردي ، ومحمد صالح السهروردي . عندهم (٢٥٤) مخطوطة . صنع لها ابراهيم الدروبي ، فهرساً لم يطبع . وعندنا نسخة منه .

٥ - مخطوطات السويدی :

كانت في مكتبة يوسف السويدی ، ثم انتقلت من بعده إلى أولاده ، ولا نعلم ما مصيرها اليوم . فيها طائفة من المخطوطات ، وصف عز الدين التنوخي (١٣) مخطوطة منها ، في بحثه « خزائن الكتب العربية : بقية مؤلفات الأسرة السويدية العباسية » (٢) .

(١) توفي سنة ١٩٥٨ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي (٨) (١٩٢٨) ص ٤٤٩ - ٤٥٣ .

٦ - مخطوطات ضياء الدين شكاره :

حين كان صاحب هذه المخطوطات موظفاً إدارياً في الشرطة من بلدان جنوبي العراق ، أطلع علي الخاقاني علي ما عنده من مخطوطات ، فوصف تسعا منها في بحثه « النواذر المخطوطة في الشرطة (١) . وحين كان صاحبها في مدينة العمارة ، نوه حسين علي محفوظ بـ (٨٤) مخطوطة (١) .

٧ - مخطوطات عباس العزاوي (٣) :

لا ريب في أن مكتبة عباس العزاوي ، تضم أعظم مجموعة شخصية من المخطوطات المتنوعة بالعربية والتركية والفارسية . ولا يعرف عددها علي وجه التحقيق (٤) . وعندنا ثبت يتضمن ذكر (٢٣٨) من مخطوطاتها الأثرية . وتدرس الحكومة العراقية مصير هذه المكتبة بعد وفاة صاحبها .

٨ - مخطوطات عبد الباقي الطيار وابنه هاشم الطيار :

وضع الدكتور حسين علي محفوظ ، ثبتاً بمخطوطات هذه المكتبة ، نوه فيه بـ (٦٠) مخطوطة (٥) .

٩ - مخطوطات عبد الوهاب ملوكي :

كان صاحبها إمام وخطيب جامع الخاصكي ببغداد . وهي (١٤) مخطوطة فهرسها إبراهيم الدروبي . وعندنا نسخة من هذا الفهرست .

(١) مجلة « البيان » (٣ النجف ١٩٤٩) ص ٤٠٧ ، ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية (٤) (١٩٥٨) ص ٢٠٠ - ٢٠٧ .

(٣) توفي سنة ١٩٧١ .

(٤) في مجلة « الرسالة الإسلامية » (بغداد ١٩٧١) العدد ٣٨ - ٣٩ ، ص ٨٨) أن ما في هذه المكتبة من مخطوطات ، يبلغ (٧٠٠٠) مخطوط .

(٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ ص ٣-٦ (١٩٥٨) ص ١٩٥ - ٢٠٠ .

١٠ - مخطوطات عبد الوهاب النائب :

وهي (٢٩٦) مخطوطة . وضع لها إبراهيم الدروبي فهرساً لم يطبع ،
وعندنا منه نسخة .

١١ - مخطوطات عزيز بطرس (١) :

لديه (٣٣) مخطوطة بالعربية والكلدانية . عندنا فهرس بها بخط صاحبها .

١٢ - مخطوطات علي أبو السعد (٢) :

وهي (١٩٦) مخطوطة . صنع لها إبراهيم الدروبي فهرساً لم يطبع . وعندنا
نسخة منه .

١٣ - مخطوطات علي الخاقاني :

لديه (٩٨) مخطوطة ، عندنا منها فهرست لم يطبع . وهو بخط صاحبها .

١٤ - مخطوطات عماد عبد السلام رؤوف :

في مكتبته شيء من المخطوطات ، وصف صاحبها واحدة منه تتألف من
أربعة تأليف ، في مقالة له بعنوان « آثار للشيخ ابن عربي ضمن مجموع
خطي قديم » (٣) .

١٥ - مخطوطات فنان ماريني :

وهو ابن أخي الأب انستاس ماري الكرملي . لديه (٦٦) مخطوطة ،
صنعنا لها فهرساً ، ولم يطبع .

(١) توفي سنة ١٩٦٥ .

(٢) توفي سنة ١٣٧٤ هـ .

(٣) المكتبة (١٠) (١٩٧٠) العدد ٧٣ ص ٣ - ٦ .

١٦ - مخطوطات قاسم محمد الرجب :

يعد صاحب هذه المخطوطات ، أعظم الكتبيين العراقيين ، وفي طليعة الكتبيين في العالم العربي (١) .

اقتنى طائفة صالحة من المخطوطات ، بلغ عددها (٥٦٥) مخطوطة ، صنعنا لها فهرساً بعنوان « فهرست المخطوطات العربية في خزانة قاسم محمد الرجب ببغداد » . وقد طبع في ثلاثة أقسام :

الأول : نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي (١٢) (١٩٦٥) ص ١٦٥ - (١٩١) . ثم أفرد في رسالة مستقلة . وقد نوهنا فيه بـ (١٦٥) مخطوطة (الرقم ١ - ١٦٥) .

الثاني : مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٦٥ ، ٣٢ ص . وقد نوهنا فيه بـ (١١٨) مخطوطة (الرقم ١٦٦ - ٢٨٣) .

الثالث : مطابع لبنان - بيروت ١٩٧١ ، ٣٠ ص . وقد نوهنا فيه بـ (٢٨٢) مخطوطة (الرقم ٢٨٤ - ٥٦٥) .

١٧ - مخطوطات كمال الدين الطائي :

في مكتبته بضع مئات من المخطوطات العربية . عندي فهرس بـ (٥٨) مخطوطة منها . ولم يطبع .

١٨ - مخطوطات محمد رضا الشبيبي (٢) :

في داره بالكرادة الشرقية من بغداد ، (٥٩) مخطوطة ، وقفنا عليها ، وصنعنا لها ثبناً . لم يطبع .

(١) توفي سنة ١٩٧٥ .

(٢) توفي سنة ٢٩٦٥ .

١٩ - مخطوطات محمد العسافي :

نجل الحاج محمد العسافي ، مدرس وإمام وخطيب الزبير . في مكتبته ببغداد (٢٦) مخطوطة فهرسها إبراهيم الدروبي . وعندى نسخة من هذا الفهرس .

٢٠ - مخطوطات موسى الصائغ :

وهي (٢٢) مخطوطة . وعندنا فهرس بها لم ينشر . وهي اليوم لدى ابنه المحامي نجيب الصائغ .

٢١ - مخطوطات متفرقة في بغداد :

في الفهرس الموسوم بـ « الآثار المخطوطة في بغداد (١) » لعلى الخاقاني ، وصف لثمانى عشرة مخطوطة تحرزها بعض المكتبات البغدادية .

تلكيف

في مكتبة كنيسة تلكيف ، مجموعة من المخطوطات الكلدانية ، تبلغ السبعين عدا ، نوه القس ميخائيل ججوزي ، بانثنى عشرة مخطوطة منها (٢) في مؤلفه الذى وضعه في تاريخ هذه البلدة .

(١) الغرى (٢) (١٩٤٠ - ١٩٤١) ص (١٢٢٧ - ١٢٣٠ ، ١٢٤٨ - ١٢٥١) .

(٢) بلدة تلكيف : ماضيها وحاضرها . (مطبعة الجمهورية - الموصل ١٩٦٩ ،

ص ٨٤ - ٨٥) .

دير السيدة

يقوم هذا الدير على مسافة ٣١ ميلاً شمال الموصل . وفي مكتبته مجموعة من المخطوطات الكلدانية استرعت اهتمام المطران أدى شير (١) . فوضع لها فهرساً باللغة الفرنسية ، نشره في المحلة الآسيوية بباريس سنة ١٩٠٦ (٢) ، طبعه في تلك السنة نفسها في رسالة تقع في ٦٥ صفحة أتى فيها على وصف (١٥٣) مخطوطة (٣) .

وفي سنة ١٩٢٩ - ، وضع المستشرق البلجيكي الأب يعقوب فوسني الدومنيكي (٤) ، فهرساً مجدداً باللغة الفرنسية أيضاً ، سار فيه على غرار ما صنعه أدى شير . وهو أكمل من سالفه ، لأن فوسني ، وصف فيه (٣٣٠) مخطوطة وصفاً حسناً . وقد طبعه في رومه سنة ١٩٢٩ . في ١٣٠ صفحة (٥) .

وكننا في بعض تأليفنا (٦) ، قد عطينا بذكر (٢٧) مخطوطة من نفائس ا تحرزها هذه المكتبة .

(١) ولد في شقلاوة من أعمال أربيل سنة ١٨٦٧ ، و قتل في سمرت سنة ١٩١٥ .

(٢)

JOURNAL ASIATIQUE. (MAI-JUIN 1906, PP. 479-512, ETJU - ILLETAOUT PP. 22-56 .

(٣)

SCHER (MGR. ADDAI), NOTICE SUR LES MANUSCRITS SYRIAQUES CONSERVES DANS LA BIBLIOTHEQUE DU COUVENT DES CHALDEENS DE NOTRE-DANS-DES-SEMENCES. (PARIS, 1906, 65P.).

(٤) توفي سنة ١٩٤٨ .

(٥)

VOSTE (5J), CATALOGUE DE LA BIBLIOTHEQUE SYRO-CHALDEENNE DU COUVENT DE NOTRE-DAME SEMENCES. (ROME, 1939;143P.

(٦) هواد (كوركييس) : أثر قديم في العراق : دير الربان هرمزد . (الموصل ١٩٣٤

ص ٥٦ - ٥٨) .

دير مار بهنام

يقوم هذا الدير على مسافة ٣٥ كيلو متراً جنوب شرقى الموصل . فى مكتبته مجموعة من المخطوطات ، نوه بطائفة منها الخورى أفرام عبدال (١) ، فى المؤلف الذى أفرده لتاريخ هذا الدير (٢) .

دير مار متى

ويعرف بين أهل الموصل بدير الشيخ . وهو يقوم فى أعلى جبل مقلوب من جبال شرقى الموصل . فيه مجموعة من المخطوطات العربية والسريانية عنى البطريرك أغناطيوس أفرام برسوم (٣) بوضع فهرست لها بالعربية ، عنوانه « فهرست مخطوطات دير مار متى وكنائس القرى التابعة له » وقفنا عليه فى حمص سنة ١٩٥٦ حين زرنا المؤلف . ولم يطبع . وقد أشار إليه فى بعض مؤلفاته (٤) .

زاخو

فى مكتبة المطران يوسف بابانا ، طائفة من المخطوطات بالكلدانية . عندنا فهرس يضم أسماء عشر منها .

سامراء

١ - مكتبة مدرسة الشيرازى :

أنشأها فى سامراء ، الميرزا محمد حسن الشيرازى ، المتوفى سنة

-
- (١) توفى سنة ١٩٦٦ .
 - (٢) اللؤلؤ النضيد فى تاريخ ديرمار بهنام الشهيد . (مطبعة الاتحاد الجديدة الموصل ١٩٥١ ، ص ١٠٢ - ١٠٦) .
 - (٣) توفى سنة ١٩٥٧ .
 - (٤) اللؤلؤ المنشور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية (حمص ١٩٤٣ ، ص ١٢ الرقم ٢٥)

١٨٩٤ (١) ، ذكر الشيخ أغا بزرك ، أنه كتب فهرساً لهذه المكتبة ولم ينشر . قال أنها تشتمل اليوم على أكثر من ألف مجلد ، خمسها مخطوط (٢) :

٢ - مكتبة الميرزا محمد الطهراني :

قال أغا بزرك : أنها مكتبة عامرة بسامراء ، تربو على ألفي مجلد ، خمسها مخطوط (٣) . فهرس منها الدكتور حسين علي محفوظ (٢١) مخطوطة (٤) وقد سماها « مكتبة الإمام المهدي العامة في سامراء » ، وهي مما وقفه ميرزا محمد الطهراني سنة ١٣٧١ هـ .

٣ - وعنى الشيخ يونس إبراهيم السامرائي ، بوضع كتاب عنوانه « المخطوطات في سامراء » ولم يطبع . وصف فيه (٦١٣) مخطوطة في المكتبات الآتية :

١ - مكتبة مدرسة الشيرازي .

٢ - مكتبة الشيخ أحمد الراوي .

٣ - مكتبة الإمام المهدي العامة لنجم الدين الحيدري .

٤ - مكتبة الإدارة المحلية .

عقرة

في خزانة كتب المطرانية الكلدانية في بلدة عقرة ، مخطوطات كلدانية نفيسة ، وقفنا عليها . وقد تولى المستشرق فوسنتي فهرستها ، في فهرس

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ أغا بزرك (٦ : ٤٠٢) .

(٢) الذريعة (٦ : ٤٠٤) .

(٣) الذريعة (٦ : ٤٠٢) .

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (٤) (١٩٥٨) ص (٢١٠ - ٢١٤) .

نشره بالفرنسية في مجلة الشرق المسيحي الصادرة في رومة سنة ١٩٣٩ (١) ،
وقد وصف المؤلف في هذا الفهرست (٦٧) مخطوطة .

قره قوش

في الكتاب الذي ألفه عبد المسيح بهنام في تاريخ هذه البلدة (٢) التي
تقوم في شرقي الموصل ، تنويه بإحدى وستين مخطوطة سريانية تفرقت في
بعض خزائن قره قوش .

وأشار الخوري أفرام عبدال ، في مؤلفه عن تاريخ دير مار بهنام ،
إلى (١٩) مخطوطة سريانية من مخطوطات كنائس قره قوش (٣) .

الكاظمية

في هذه البلدة مكتبات عامة وخاصة ، فهرس الدكتور حسين علي
محموظ (٢٢٧) من مخطوطاتها ضمن مقاله « المخطوطات في العراق (٤) ، وفي
ما يأتي ثبت بأسماء هذه المكتبات مع عدد مخطوطاتها المفهرسة :

(١)

VOSTE (J), CTALOGUE DES MANUSCRITS SYRO- CHAL-
DEENS CONSERVES DANS LA BIBLIOTHE EPISCOPALE D
AQTA, I RAQ. (ORIENTALIA CHRISTIANA PERIOCICA, 1939,
PP. 368-406).

(٢) قره قوش في كفة التاريخ (مطبعة الأديب - بغداد ١٩٦٢ ، ص ٧٩ - ٨١ ،
١٠٥ - ١٣٦) .

(٣) الأؤلؤ النضيد . (ص ١٠٦ - ١١٣)

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (٤) (١٩٥٨) ص ٢٣٨ - ٢٥٨ .

المخطوطات	صفحة المقال	المكتبة
٤٢	٢٤٢-٢٣٨	مكتبة حسن الصدر
٢٩	٢٤٥-٢٤٢	مكتبة عبد الرازق العاملي الكاظمي
١٦	٢٤٦-٢٤٥	مكتبة عبد الصاحب الكاظمي الخطيب
٢	٢٤٦	» الإمام الكاظم العامة
٢٩	٢٥٠-٢٤٧	» عبد الحسن الأسدي
٥	٢٥٠	» محمد رضا الخالصى
١٢	٢٥١-٢٥٠	» الإمام الصادق العامة
١٨	٢٥٣-٢٥١	» الجوادين العامة
٣٦	٢٥٥-٢٥٣	» علي بن الحسين الهاشمي الخطيب
٣٨	٢٥٨-٢٥٥	» جامعة مدينة العلم

وجدير بالذكر ، أن مكتبة جامعة مدينة العلم ، التي أنشأها الإمام الخالصى الكبير ، تضم اليوم (٦٩٠) مخطوطة ، وضع فيها حميد هدو ، فهرساً يقع في ١٦٧ صفحة ، وقفنا عليه ، ولم يطبع .

ولنا أن نقول أن مكتبة السيد حسن الصدر ، المتوفى سنة ١٩٣٥ ، تحتوي على نحو من (٦٠٠) مخطوطة ، صنع لها منشئها فهرساً بعنوان « الإبانة عن كتب الخزائن » (١) .

(١) الذريعة (١ : ٥٦ الرقم ٢٨٦) . ومقدمة تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : حسن

وكان الشيخ آغا بزرك ، قد تصدى ، في حياة حسن الصدر ، لما في هذه المكتبة من تأليف خطية صنفها رجال الشيعة في مختلف العصور الإسلامية ، فأثبت عناوينها في « الذريعة » . ولو جردت أسماء تلك المخطوطات من الذريعة ، لقام منها « فهرس لا يستهان به .

وصنف الدكتور حسين علي محفوظ فهرساً في مخطوطات مكتبته (١) ، أشار فيه إلى (٣٤٦) مخطوطة ، باع منها إلى جامعة بغداد (٢٠١) مخطوطة ، وقد ذكرنا ذلك في كلامنا على « مكتبة كلية الآداب - جامعة بغداد »
ولدينا « ثبت » مكتوب بالآلة الكاتبة ، بما تضمنه مكتبة الإمام الصادق العامة في الكاظمية من مخطوطات ، وعددها (٣٢٩) مخطوطة .

كربلاء

في هذه المدينة مكتبات عديدة لا تخلو إحداها من مخطوطات ، بعضها مفهرس . ومن الفهارس التي وقفنا عليها :

١- فهرست مخطوطات الروضة الحسينية : وهو ثبت بأسماء (٢٧٢) مخطوطة ، كلها مصاحف فيها القديم والنفيس الذي يمتاز بجودة خطه وجمال زخرفته وتجليده ، وهذا الثبت لم يطبع . ومنه نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة في مكتبة المتحف العراقي . وعندنا نسخة منقولة عنه .

٢- عنى السيد منير القاضى ، بوضع بحث عنوانه « خزنة العتبة الحسينية المقدسة » . وصف فيه (٧٢) مخطوطة (٢) من نفائس المصاحف التي تزرع بها هذه الخزانة .

٣- فهرست مخطوطات الروضة العباسية : وفيه أسماء (١٠٩) مخطوطات كلها مصاحف .

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ٦ (١٩٦٥) ص ١٥ - ٥٨ .
(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ٥ (١٩٥٩) ص ١٦ - ٣٧ ، المراجعة ص ١٩ - ٣١ .

وما قيل عن قدم ونفاسة مخطوطات الروضة الحسينية يقال أيضاً عن مخطوطات هذه الروضة وهذا الثبت لم يطبع . ومنه نسخة في مكتبة المتحف العراقي مكتوبة بالآلة الكاتبة ، نقلنا عنها نخطنا نسخة لخرانتنا .

٤- ونوه السيد ناصر النقشبندی ، بثلاث قطع قديمة من المصاحف المكتوبة بالخط الكوفي ، مما تحرزها هذه الخزانة (١) .

٥- مخطوطات مكتبة السيد عباس الحسيني الكاشاني في كربلاء : حميد مجيد هدو . صدر منه القسم الأول (٢) ، وفيه يصف (١٦٥) مخطوطة .

٦- وعن سلمان هادي الطعمة ، بفهرسة مخطوطات مكتبات كربلاء فنشر في ذلك مقالات ونبذا بعنوان « الآثار المخطوطة في كربلاء » ظهرت في أعداد شتى من مجلة المكتبة (٣) ، وقد استمدها من كتاب له في هذا الشأن أطلعني على الجزء الأول منه . ولم ينشر .

كركوك

تضم مكتبة مطرانية الكلدان بكركوك ، طائفة من المخطوطات الكلدانية تصدى لفهرستها المستشرق فوستي . فصنف فهرساً باللغة الفرنسية ونشره

(١) سومر ١٢ (١٩٥٦) ص ٣٣-٣٧ .

(٢) مطبعة أهل البيت - كربلاء ١٩٦٦ ، ص ٣٠٥ .

(٣) المكتبة (٣) (١٩٦٢-١٩٦٣) العدد ٧ و٨ و٩ و١٠ - صفحاتها على التوالي ٣٠-٣١ ، ٣٨-٣٩ ، ٣٤-٣٥ ، ٤١-٤٢ ، ٣٦-٣٧ ، ٣٣-٣٤ ، ٣٤-٣٥ ، ٤٤-٤٥ ، ٢٤-٢٥ ، ٣٤-٣٥ ، ١٨-١٩ ، ١٧ ، ٥ (١٩٦٤) - ٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢ و صفحاتها على التوالي ٣٤-٣٦ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٤-٤٥ ، ٢٤-٢٥ ، ٣٤-٣٥ ، ١٨-١٩ ، ١٧ ، ٥ (١٩٦٤) - ١٩٦٥) العدد ٤٣ و٤٤ و٤٥ و صفحاتها على التوالي ١٤-١٥ ، ٨-٩ ، ١٦-١٧ ، ٦ (١٩٦٥-١٩٦٦) (العدد ٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ و صفحاتها على التوالي ٢٠-٢١ ، ٢١-٢٢ ، ١٦ ، ١٤-١٥ ، ٢٤ ، ٧ (١٩٦٦) العدد ٥١ ص ٢٦-٢٧) .

في مجلة الشرق المسيحي الصادرة في رومة سنة ١٩٣٩ . وقد وصف المؤلف
في هذا الفهرس (٤٩) مخطوطة (١) .

مندلي

في مكتبة الملا جميل بندى الروزيباني ، التي كانت سابقاً في مندلي (١٢٣)
مخطوطة ، عندي ثبت بها بخط صاحبها ، ولم ينشر .

الموصل

تزر مدينة الموصل بالمكتبات : في المساجد والمدارس الدينية
والمؤسسات الثقافية ، وفي البيوتات . مما أهاب بالدكتور داود الحلبي (٢) ،
أن ينشر كتاباً عظيم الشأن في ما في تلك المكتبات من كتب خطية وسمه
بـ « مخطوطات الموصل » (٣) ذكر فيه الكتب العربية ، والمكتوبة
بـحروف عربية ، ما وقف عليه في مدارس الموصل الدينية وجوامعها ،
ذلك إلى مجاميع يملكها بعض الباحثين والشراة وغيرهم من أبناء الموصل .

بلغ عدد المخطوطات التي تطرق المؤلف لذكرها أو وصفها ، قرابة
أربعة آلاف مخطوطة مفرقة بين نيف وخمسين خزانة ، وهي :

(١)

VOSTE (J), CATALOGUE DES MANUSCRITS-SYRO CHAL-
DEENS CONSERVES DANS LABIBLIOTHEQUE DE L'ARCHEV
CHE CHALDEEN DE KERKOUK, IRAS (ORIENTALIA CHRI-
STIANA PERODIC, 1939; PP. 72-102) .

(٢) توفي سنة ١٩٦٠

(٣) مخطوطات الموصل : وفيه بحث عن مدارسها الدينية ومدارس ملحقاتها . (مطبعة
الفرات - بغداد ١٩٢٧ ، ٣٨٩ ص) .

عدد	صفحة	المكتبة
المخطوطات	الفهرست	
٢٦٠	٤٠-٢٢	المدرسة الأحمديّة
٦٨	٤٥-٤١	المدرسة الإسلاميّة
١	٤٥	مدرسة جامع الأغوات
٣٦٨	٧١-٤٦	» جامع الباشا
١١٥	٧٧-٧١	» جامع بكر أفندي
١٦	٧٩-٧٨	» جامع حمو القدو
٥٥	٧٢-٧٩	» جامع الخاتون
٢٢	٨٤-٨٢	» جامع خزام
١٩	٨٥-٨٤	» جامع عبدالله بك
٩	٨٥	» جامع العراقدة
٦٨	٩١-٨٦	» مدرسة الجامع الكبير
٢٨	٩٣-٩١	» جامع المحمودين
		» جامع الحاج حسين بك في جامع
١١٥	٩٨-٩٣	السلطان أويس
٣٠٦	١٢٠-٩٩	» الحجيات
٣١٧	١٣٩-١٢٠	المدرسة الحسينية

١٣٥	١٤٨-١٣٩	مدرسة الخياط
١٣	١٥٠-١٤٨	» الرضوانى
٢٦١	١٦٤-١٥٠	» عبد الرحمن جلبى الصائغ
٥٧	١٦٨-١٦٤	المدرسة العبدالية
٥٠	١٧١-١٦٨	» العثمانية فى جامع الرابعة
٣٠٧	١٨٦-١٧١	» الحمديّة فى جامع الزيوانى
٢	١٨٧	مدرسة مسجد بنات الحسن
٣٢	١٩٠-١٨٨	» مسجد محضر باشى
٢٩٥	٢٠٣-١٩٠	» الملا زكر (الحاج زكريا)
٣	٢٠٤-٢٠٣	» النبى جرجيس
٢١١	٢٢٤-٢٠٥	النبى شيث
٥٣	٢٢٧-٢٢٤	لمدرسة النعمانية
٣٧٢	٢٤٧-٢٢٧	مدرسة يحيى باشا
٧	٢٤٩-٢٤٧	مكتبة دار بطيريكية الكلدان
٢٣	٢٥٨-٢٥٤	مدرسة النبى يونس
١٨	٢٦١-٢٥٩	من كتب إبراهيم عطار باشى
		» أبناء سليمان النائب (محمد ومحمود
٦	٢٦٢-٢٦١	ومجدى)

١	٢٦٢	أحمد بك بن أيوب بك الحليلي	»
١	٢٦٢	إدريس العمرى بن محمد شريف القزاز	»
٧	٢٦٢	آل الشربنتجى	»
١	٢٦٢	أمين أغوان	»
٩	٢٦٣	توفيق النائب	»
١٩	٢٦٣-٢٦٥	أمين بك بن أيوب بك الحليلي	»
٩	٢٦٦-٢٦٥	حسيب السعدى	»
٧٦	٢٨٦-٢٦٦	الدكتور داود الحلبي	»
١	٢٨٦	سعيد بن الحاج حسين آغا آل عبيد آغا	»
١	٢٨٦	سعيد الحاج ثابت	»
٧	٢٨٧-٢٨٦	سليمان بن عبد الحافظ العمرى	»
٢	٢٨٧	سليمان بك بن عبدالله بك الحليلي	»
١	٢٨٧	شريف جلبي بن الحاج عبدالله زكريا	»
٢	٢٨٨	الشيخ طاهر آل سليم بك	»
٢	٢٨٨	صديق بن عبد الحافظ	»
		ضياء بك بن عبد الرحمن بك آل	»
٤	٢٨٨-٢٨٩	ياسين المفقى	»
١	٢٨٩-٢٩٠	طاهر العمرى	»

٥	٢٩٠	عبدالله بن أحمد آل رئيس العلماء	»
٦	٢٩٢-٢٩٠	عبدالله بن الحاج علي العمري	»
١٤	٢٩٣-٢٩٢	عبدالله الحلبي	»
١٣	٢٩٤-٢٩٣	عبد الغني النقيب	»
٤	٢٩٤	علي بن داود الصائغ	»
٥	٢٩٥-٢٩٤	كتب فاروق الدملاجي	»
٦	٢٩٥	القس سليمان الصائغ	»
١	٢٩٥	القس يوسف يعقوب	»
٣	٢٩٦	محمد أسعد بن أمين	»
١	٢٩٧-٢٩٦	محمد علي بن الخليفة	»
٤	٢٩٨-٢٩٧	محيي الدين أبي الخطاب	»
٧	٢٩٨	مصطفى بن محمود العمري	»
١٩	٢٩٩-٢٩٨	نشأة الفيضي	»
٢	٢٩٩	نشأة بك بن عبدالله آل ياسين المفتي	»

وقد استخرج الدكتور حسين علي محفوظ ، من كتاب « مخطوطات الموصل » أسماء المخطوطات المؤلفة باللغة الفارسية ، وهي (٢٤٦) مخطوطة (١) .

وحيث قدمت بعثة اليونسكو إلى العراق ، لتصوير المخطوطات المهمة من مكتباته ، أتبع لها . أن تصور (٢٢١) مخطوطة من جملة مكنتات موصلية (٢) .

(١) كتب خطي فارسي درموحل (طهران ١٩٥٣ ، ٦ ص)
(٢) فهرست المخطوطات العربية المصورة في العراق (ض ٦٧ - ٩١)

وهذا ثبت بتلك المكتبات وما صور من كل منها :

عدد المخطوطات	صفحة الفهرست	المكتبة
٥	٦٧	مكتبة آل الخطيب
٤٠	٦٨ - ٧٠	» الأوقاف
٣	٧١	» مدرسة مريم خاتون
١١	٧٢	» الدكتور محمد صديق الجليلي
٥	٧٣	» المدرسة النعمانية
٣	٧٤	» مدرسة الحاج حسين بك
٢٦	٧٥-٧٧	» مدرسة الحجيات
٢٤	٧٨-٧٩	» جامع الباشا
٣٤	٨٠-٨٢	» مدرسة يحيى باشا الحليلي
٢٠	٨٣-٨٤	» سعيد الديوه جي
٢٤	٨٥-٨٧	» المدرسة الأحمدية
٢	٨٨	» عبد الكريم حديد
٥	٨٩	» جامع النبي شيت
٢	٩٠	» الجامع النوري (الجامع الكبير)
٧	٩١	» عبد المحيد شوقى البكرى

مكتبة البطريكية الكلدانية :

كان المطران أدي شير ، وقد سبق ذكره ، قد وضع فهرساً للمخطوطات

الكلدانية المحفوظة في مكتبة الدار البطريركية الكلدانية بالموصل (١) ،
وعدها يوم ذاك (١١٦) مخطوطة . وقد طبعه باللغة الفرنسية في باريس
سنة ١٩٠٧ (٢) ، ونسخه اليوم نادرة جداً .

وقد نقل إسحق ميسكو ، بمعاونة القس (هو اليوم المطران) يوسف بابانا .
وهذا الفهرست إلى العربية ، ولم يطبع .

كما عني أيضاً بوصف هذه المكتبة والتنويه ببعض مخطوطاتها في بحثه
الموسوم « المكتبة الكلدانية البطريركية بالموصل » (٣) .

ووصف المطران سليمان الصائغ ، إحدى مخطوطات هذه المكتبة وهي
كتاب « الأسياميد » بالكلدانية ، كما أتيح له أن ينشر في تلك المحلة ،
وصفاً لمعجم القس خلد الموصلي .

وضع المطران أسطيفان كجو (٤) ، ثبناً بالمخطوطات التي أضيفت إلى
هذه المكتبة بعد طبع فهرست أدى شير المنوه به . ويبدأ هذا الثبوت بالرقم
(١١٧) وينتهي بالرقم (٢٤٧) ولم يطبع .

(١) لما كان مقر الدار البطريركية في الموصل ، كانت المكتبة في الموصل تبعاً لذلك .
وبانتقالها إلى بغداد في سنة ١٩٦٠ ، انتقلت المكتبة إليها أيضاً .

SCHER (ADDAI), NOTICE SUR LES MANUSCRITS SYRAQ-
UES CONSERVES DANS LA BIBLIOTHEQUE DU PATRIAR-
CAT CHALDEN DE MOSSOUL. (PARS, 1907, 38P.).

وهومستل من مجلة .

REVUE DES BIBLIOTHEQUES; (VOL. 17; PARIS, 1907;
PP. 237- 60)

(٢) النجم (١١) (الموصل ١٩٥١) ص ٢١٧ - ٢٢١ ، ٣٩٩ - ٤٠٢ ، ٦٠١ -
٦٠٧ .

(٣) النجم (١٠) (١٩٣٨) ص ٢ - ٤ .

(٤) توفي سنة ١٩٥٣ .

ثم أضيف إلى المكتبة (٢٢) مخطوطة جاءت من آمد (ديار بكر) . وقد تولى القس توما حنوناً ، فهرسة هذه المخطوطات سنة ١٩٣٢ ، ولم يطبع هذا الفهرس .

وفي هذه المكتبة سبع مخطوطات عربية فهرسها الدكتور داود الحلبي (١) ، على ما سبقت الإشارة إليه .

ثم كلف كل من المطران روفائيل بيد اويد ، والمطران أسطيفان بابكا وإسحق عيسكو ، بوضع فهرست جديد متكامل لمخطوطات البطريركية حين كانت في الموصل . فأجزوا العمل ، وكانت النسخة الوحيدة لهذا الفهرست الذي وضعوه ، لدى المطران بيداويد . ولكنها أحرقت في حراثة العمادية ، حين كان مطراناً للكلدان في تلك البلدة ، كما أحرقت سائر مكتبته وكانت حافلة بنفائس الكتب .

مكتبة مطرانية الموصل وكنائسها السريانية :

صنف البطريرك أغناطيوس أفرام الأول برصوم ، وقد سبق ذكره ، فهرساً بالعربية عن مخطوطات هذه المكتبة ولم يطبع . وكنا وقفنا عليه في حمص سنة ١٩٥٦ حين زيارتنا لمؤلفه هناك . وقد أشار إليه في بعض مؤلفاته (٢) .

المكتبة المركزية في الموصل :

وهي المكتبة العامة الكبرى في الموصل ، فيها (٢٠٣) مخطوطات ، عن سعيد الديوه جي بفهرستها ونشر هذا الفهرست سنة ١٩٦٧ (٣) .

(١) مخطوطات الموصل . (ص ٢٤٧ - ٢٤٩) .

(٢) اللؤلؤ المنثور . (ص ١٢ الرقم ٢٤) .

(٣) الديوه جي (سعيد) : مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل . (بغداد ١٩٦٧ ،

ص ٣٦) . وهو مستل من «مجلة المجمع العلمي العراقي» المجلد ١٥ .

ويبدو لي أن هذا الفهرست المشور لا يشمل سائر ما تحتويه هذه المكتبة من مخطوطات ، بل يقتصر على ذكر المخطوطات العربية ، فإن أوراًقاً بخط الحاج أحمد نيلة ، أمين المكتبة السابق ، يقول فيها أن عدد مخطوطات هذه المكتبة (٦٢٢) مخطوطة . وهذا تصنيفها بحسب اللغات المكتوبة بها :

اللغة	عدد المخطوطات
العربية	٢٣٠
التركية	٢٠
الفارسية	٥
الإنكليزية	٥
العبرية	٣٦٢
	<hr/>
	٦٢٢

مكتبة الدكتور داود الجلبي :

سبقت الإشارة إلى (٧٦) مخطوطة كانت في هذه المكتبة سنة ١٩٢٧ حين فهرسها صاحبها في كتابه « مخطوطات الموصل » (١) وقد ازدادت هذه المخطوطات من بعد ذلك ، حتى بلغت (٢٧٥) مخطوطة ، عنى الدكتور فيصل دبذوب ، بفهرستها سنة ١٩٦٧ ، وقد نشر هذا الفهرست (٢) .

(١) ص ٢٦٦ - ٢٨٦ .

(٢) الدكتور داود الجلبي : حياته ومخطوطات خزائنه (مجلة معهد المخطوطات العربية ١٣ (١٩٦٧) ص ٣ - ٤٠) .

مكتبة سعيد الديوه جي :

فيها (٢٢٠) مخطوطة ، فهرسها صاحبها في فهرس نشره سنة ١٩٦٣ (١) وعندي فهرس بأسماء هذه المخطوطات ، نقاته عن أوراق بعث بها إلى سعيد الديوه جي سنة ١٩٥٦ ويختلف الاثنان من حيث الترتيب .

النجف

لكثير من أدباء النجف وعلماؤها ، عناية ظاهرة بالمخطوطات ، خملت على الخاقاني على أن يضع فهرساً بجملة كبيرة مما فيها من مخطوطات ، وقد وقفنا على مسوداته (٢) .

نشر منه وصفاً ل (٢٤) مخطوطة انتشرت في بعض مكباتها ، في مجلة الاعتدال (٣) ، كما نشر وصفاً لطائفة أخرى من تلك المخطوطات ، بعنوان النوادر المخطوطة في النجف « (٤) .

هذا ما يقال عن فهرس مخطوطات النجف بوجه عام ، أما فهرس مخطوطات كل مكتبة على انفراد ، فستكلم عليها فيما يأتي :

(١) مخطوطات خزانة سعيد الديوه جي . (مجلة معهد المخطوطات العربية ٩ (١٩٦٣) ص ٢٠٣ - ٢٣٠) . وقد أورد في رسالة .

(٢) دليل الآثار المخطوطة في العراق : لعل الخاقاني . وقد سجل فيه كثيراً من مخطوطات النجف والبصرة وبغداد والموصل . يقع في ثمانية أجزاء . انظر مجلة المكتبة (٢) (١٩٦١) العدد ٥ ص ١٠) .

(٣) الاعتدال (٥ النجف (١٩٣٨ - ١٩٤١) ص ٥٧ ، ١١٣ ، ١٧٤ ، ٤٧٣ ، ٥٣٣ ، ٥٧٤ ، ٦ (١٩٤٦) ص ٧٥ ، ١٥٥ ، ٢٣٨) .

(٤) الغرى النجف ١٩٤٠ - ١٩٤١ (ص ١٢٦٣ ، ١٢٩٧ ، ١٣٣٧ ، ٣ (١٩٤٢) ص ١٨٧ ، ٢١١ ، ٢٨٨ ، ٤٣٢ ، ٥ (١٩٤٣ - ١٩٤٤) ص ٧٤٢) .

١ - مخطوطات الخزانة الغروية :

وهي خزانة الروضة الحيدرية ، وتعرف بمكتبة الصحن الشريف في نجف . كنا قد فصلنا القول في تاريخ هذه المكتبة ، في مؤلفنا عن تاريخ مكنتات العراق (١) ، وقد نوهنا في تضاعيف كلامنا بـ (٢٠) مخطوطة تعد من نواتر مكنونات هذه الخزانة .

وكان كاظم الدجيلي (٢) ، طليعة من تصدى للبحث عن مخطوطات هذه الخزانة ، فوصف في مجلة « لغة العرب » التي كان يصدرها في بغداد الأب أنستاس ماري الكرملي ، طائفة من نفائس مخطوطات هذه الخزانة (٣) . كما وصف في بحثه الموسوم بـ « وصف كتب خزانة الأمير » (١٧) مخطوطة أيضاً (٤) . في هذه الخزانة اليوم ، زهاء (٥٠٠) مخطوطة عربية ، معظمها مصاحف ، ومن هذه المصاحف ما كان قدماً جداً مكتوباً على الرق بالخط الكوفي . ومنها ما كتبه أشهر الخطاطين المعروفين في العصور الإسلامية ولهذه المخطوطات ثبت بأسمائها ، لم يطبع . ومنه نسخة مطبوعة بالآلة الكاتبة ، محفوظة في مكتبة المتحف العراقي ، وقد نقلنا عنها نسخة لخزانتنا .

ووضع الدكتور حسين علي محفوظ ، مقالا نوه فيه بـ (٨٢) من مخطوطاتها النادرة وعنوانه « فهرس الخزانة الغروية بالنجف في مشهد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام » (٥) .

وكان الشيخ أغا بزرك ، ممن زار هذه الخزانة منذ سنوات بعيدة ، فوضع في مخطوطاتها فهرساً لم ينشر (٦) .

(١) عواد (كوركيس) : خزائن الكتب القديمة في العراق . ص ١٣٠ - ١٣٧ .

(٢) توفي سنة ١٩٧٠ .

(٣) لغة العرب (٣) (١٩١٤) ص ٥٩٣ - ٦٠٠ .

(٤) لغة العرب (٤) (١٩١٤) ص ٤٠ - ٤٥ .

(٥) مجلة معهد المخطوطات العربية (٥) (١٩٥٩) ص ٢٣ - ٣٠ .

(٦) المصدر السابق . ص ٢٣ .

كما نوه الشيخ جعفر محبوبة (١) ، ببعض مخطوطات هذه الخزانة في الفصل الذي عقده عن المكتبة الحيدرية « في كتابه المطبوع عن تاريخ النجف » (٢) .

٢ - مكتبة آل كاشف الغطاء :

وقفها الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء على مدرسته في النجف . فيها (٦٦٦) مخطوطة . وللمكتبة فهرس يقع في تسعة دفاتر ، يشمل المطبوع والمخطوط ، رأته حين زرت المكتبة . ولم يطبع .

وكان على الخاقاني ، قد أفرد بحثاً بعنوان الآثار المخطوطة في النجف : مكتبة الإمام كاشف الغطاء « (٣) ، وقد وصف فيه (٢٢٣) مخطوطة .

كما ذكر الدكتور حسين علي محفوظ ، (٣٣) مخطوطة مما في هذه المكتبة (٤) .

٣ - مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم العامة :

أنشأها في سنة ١٩٥٧ ، السيد محسن الطباطبائي الحكيم ، في جامع الهندي بالنجف ، وكان فيها سنة ١٩٦٢ ، (١٥٣٦) مخطوطة ، عنيت إدارة المكتبة بإصدار الحلقة الأولى من فهرست هذه المخطوطات ، وهي تقع في مجلد يصف (٤٤) من نواذر هذه المخطوطات (٥) .

(١) توفي سنة ١٩٥٧ .

(٢) محبوبة (جعفر) : ماضي النجف وحاضرها . (١ ط ٢ : النجف ١٩٥٨) ص ١٤٨ - ١٥٢ .

(٣) الأرقام (١) (بغداد ١٩٦٤ - ١٩٦٥) الجزء الثاني ، ص ٩٤ - ١٠٦ ، الجزء الرابع . ص ٩٨ - ١٠٧ ، الجزء السادس . ص ٩٩ - ١١٢ ، الجزء الحادي عشر . ص ١٣٤ - ١٥٠ .

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (٤) (١٩٥٨) ص ٢٠٧ - ٢١٠ ، .

(٥) من نواذر مخطوطات آية الله الحكيم العامة . (مطبعة النجف ١٩٦٢ ، ١٥٨ ص) .

ووصف محمد هادي الأميني ، أربع مجاميع شعرية نادرة تضمها هذه المكتبة (١) .

٤ - مخطوطات مكتبة السيد محمد البغدادي الحنفي النجفي :

فهرس محمد هادي الأميني ، بعضاً من نوادرها . ولم يتعين عندنا مقدار ما تحتويه هذه المكتبة (٢) .

٥ - مخطوطات مكتبة محمد السماوي :

أنشأها الشيخ محمد السماوي (٣) ، رأيناها غير مرة ، فوجدناها حسنة التنسيق ، وفيها نفائس ونوادر ، كانت تحتوى على (٤٧٢) مخطوطة ، عندى ثبت بها . ولكنها بيعت وتشتت كتبها بعد وفاة صاحبها (٤) .

٦ - مخطوطات مكتبة محمد علي البلاغي :

فيها طائفة من المخطوطات ، غنى محمد علي هادي الأميني بوصف مجموعة رسائل تضم (١٤) مؤلفاً مخطوطاً مما في هذه المكتبة (٥) .

٧ - مخطوطات مكتبة محمد علي اليعقوبي :

ذكر حسين علي محفوظ ، خمسة كتب خطية (٦) مما احتوته هذه المكتبة التي آلت بعد وفاة صاحبها في سنة ١٩٦٥ ، إلى نجله الشيخ موسى اليعقوبي .

(١) المكتبة (٤) (١٩٦٣) العدد ٣٧ ص ٣٤ - ٣٦) .

(٢) مخطوطات مكتبة آية الله السيد محمد البغدادي في النجف الأشرف . (مطبعة القضاء - النجف ١٩٦٤ ، ١٨٩ ص) .

(٣) توفي سنة ١٩٥٠ .

(٤) اقتنت مكتبة المتحف العراقي ، في حياة صاحبها ، سنة ١٩٤٩ ، مجلة مخطوطاتها .

(٥) المكتبة (العدد ٥٢ ص ١٠ ، العدد ٥٣ ص ١٢ - ١٣ ، العدد ٥٤ ص ١٤ - ١٥) .

(٦) مجلة مهده المخطوطات العربية (٤) (١٩٥٨) ص ٢١٤ - ٢١٥) .

٨ - مخطوطات مكتبة صالح الجعفرى :

قوامها (١٢١) مخطوطة . عندى ثبت بها مكتوب سنة ١٩٦٠ ، ولم يطبع .

كلمة ختامية

ولنا أن نقول قبل أن ننفض يدنا من هذا البحث ، أن فى العراق مكتبات تحتضن كميات وافرة من المخطوطات التى تنتظر من يفهرسها ويعرف الناس مكنوناتها على ما أسلفنا .

فى بغداد والنجف وكربلاء والموصل والبصرة وكركوك وأربيل وغيرها من المدن ، مخطوطات ينبغى الالتفات إليها . وليس من سبيل لتيسير هذا الأمر وتقريبه من خهرة العلماء والمتبعين إلا بالإقبال على فهرستها فهرسة علمية ، ثم العناية بنشر تلك الفهارس الموضوعه فيها .

إن ما مر ذكره فى تضاعيف هذا البحث من فهارس وأثبات ، ليس كله من غرار واحد ، من حيث الدقة العلمية وصحة المعلومات التى أدرجت فيها . فهى تتفاوت تفصيلاً وإيجازاً ، وتختلف ضبطاً واضطراباً .

كوركيس عواد

التعريف بالمخطوطات

الصغاني

أبو الفضائل رضى الدين

بقلم : عبد الستار أحمد فراج

إنه صاحب المؤلفات التي تعد مراجع لكثير من الباحثين عنى بتأليفها أعظم العناية ، وتحرى الصحيح من النصوص ، مع الخط الواضح المضبوط بعناية حين يكتب بنفسه أو يراجع نسخة له بعض تلاميذه من مؤلفاته .

وإنه لعالم من خيرة العلماء ، ترك وراءه آثاراً مشهورة من الكتب ذات الطابع الموثوق به ، المعترف بدقته وصحته وأمانته ، وكلها تنبىء عن جد متلاحق ، وفهم عميق ، وعزيمة لا يعترها ضعف ، ولا يلحق بها فتور .

وإنها لحياة تبعث في الناظرين بلغة القرآن الكريم شعوراً بالرضا والسعادة إذ كانت أقطار المسلمين عامرة بخزائن الكتب . وبلادهم حافلة بحلقات الدروس ، ليست هناك حدود حاجزة ، ولا موانع عائقة أمام البحث والتحصيل ، وحيث التبجيل لكل من برع في فنه النافع ، والتقدير لكل من ظهر فضله باهراً بالعلم والعرفان ، وإنه لمثل يحتذى .

هو رضى الدين أبو الفضائل الصغاني ، اقتبس أنوار معارفه من كثير من البقاع ، وجعل يطوف فيرسل مما اقتبس أشعة تنير الخالك . وتجلو الظلمات ، وتهدى من يريد سلوك الطريق القويم .

والبلاد الإسلامية الشاسعة المترامية الأطراف تستقبل في إجلال كل من لمست في علمه وعمله الإخلاص والصفاء .

وإذا نظرنا إلى البلاد التي تنقل بينها في عهده ، ثم عرفنا مواقعها الآن

نجد الهند والسند ولكن أيام أن كان اللسان العربي المبين يتردد بين أرجائها .
وتسمع اسم لاهور ، كما تسمع اسم غزنه التي هي الآن من أفغانستان .
واسم عبادان التي نعلم أنها من بلاد إيران .

كما نجد اسم مكة وجدة يترددان . وبغداد والعراق وتعز وزبيد وعدن
وغيرها مما يكون جزءاً من اليمنين القائمين الآن .

والصغاني أو الصاغاني نسبة إلى صغانيان إحدى البلاد المشرقية ، وقد
ترجمت له مراجع كثيرة . والذي كتب فيها عنه إنما هو قليل ، مأخوذ
بعضه من بعض ، أو يكاد ما ورد في كتاب يماثل النص الذي جاء في
الكتاب الآخر .

وأوسع ما ذكر عن اسمه ما جاء في أول كتابه « العباب » بعد بسم
الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين هو « الحسن بن محمد بن الحسن
ابن حيدر بن علي بن إسماعيل العمري . . » ويراد بالعمري أن نسبه ينتهي
إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمير المؤمنين . وقد يضاف إلى اسمه كلمتا :
العدوي القرشي ، ويراد بهما أنه من قبيلة عدى القرشية التي ينتمي إليها
جده الأعلى عمر بن الخطاب .

* * *

وننقل بعض النصوص التي وردت ترجمة له في بعض المؤلفات .

١- يقول عنه السيوطي في « بغية الوعاة » قال الذهبي : « ولد بمدينة
لاهور سنة ٥٧٧ هـ ، ونشأ بغزنة ، ودخل بغداد سنة ٦١٥ وذهب فيها
بالرياسة الشريفة إلى صاحب الهند ، فبقي مدة وحج ، ودخل اليمن ، ثم
عاد إلى بغداد ، ثم إلى الهند ، ثم إلى بغداد » .

ومثل هذا النص حرفياً في كتاب « روضات الجنات » .

٢- وياقوت في معجم الأدباء - وقد عاصر جزءاً من حياة الصغاني -

يقول : « قدم العراق ، وحج ، ثم دخل اليمن ، ونفق له بها سوق ، وكان وروده إلى عدن سنة ٦١٠ . . . وكان يقرأ عليه بعدن « معالم السنن » للخطابي . وفي سنة ثلاث عشرة وستائة كان بمكة وقد رجع من اليمن ، وهو آخر العهد به . »

٣ — وفي معجم المؤلفين ، اعتماداً على « الحوادث الجامعة » لابن الفوطي و « كشف الظنون » وفهرس المخطوطات المصورة ، يذكر أنه ولد في ١٠ صفر ، ونشأ بغزنة وتوفي ببغداد في رمضان سنة ٦٥٠ هـ .

٤ — أما العبر فيذكر فيه أنه توفي في شعبان سنة ٦٥٠ وحمل إلى مكة فدفن فيها .

٥ — وفي فوات الوفيات يقول : قال الهميطي — وهو أحد تلاميذ الصغاني المشهورين : قرأت عليه وحضرت دفنه بداره بالحريم الطاهري ببغداد ، ثم نقل بعد خروجه من بغداد إلى مكة ودفن بها ، وكان قد أوصى بذلك ، وأعد خمسين ديناراً لمن يحمله .

٦ — وفي شذرات الذهب « حوادث سنة ٦٥٠ » وفيها العلامة رضي الدين العدوي العمري الهندي اللغوي نزيل بغداد ، وذهب في الرسائل غير مرة ، وسمع بمكة من أبي الفتوح بن الحصري ، وببغداد من سعيد بن الرزاز وكان إليه المنتهى في معرفة اللغة ، له مصنفات كبار في ذلك ، وله بصر في الفقه ، مع الدين والأمانة ، توفي في شعبان وحمل إلى مكة فدفن بها .

٧ — وفي كتاب « مفتاح السعادة » نجد نصاً عن الهميطي تلميذ الصغاني يقول فيه :

كان شيخاً صدوقاً صموتاً عن فضول الكلام ، إماماً في اللغة والحديث ، حمل لأصحابه طعاماً . . . وفارقناه وعديت إلى الشط ، فلقيني شخص أخبرني بموته ، فقلت له : الساعة فارقناه . فقال : والساعة وقع الحمام . يجبر بموته فجأة . وذلك سنة خمسين وستائة .

٨- وفي مقال للدكتور محمد إسماعيل الندوى عن الصغاني ، نشر في مجلة العربي بالعدد ١٣٦ ذو الحجة ١٣٨٩ ، مارس (آذار) ١٩٧٠ حديث عن الصغاني يذكر من حياته كلاماً مجملًا غير دقيق . نستفيد منه أنه ولد في مدينة « لاهور » عاصمة باكستان الغربية الآن ، حيث تربى فيها وترعرع ودرس إلى أن صار شابا . ثم قام بعدة رحلات في طلب العلم إلى غزنة والحجاز واليمن وعدن والعراق . . . ارتحل أولاً إلى غزنة بعد استكمال دراسته في الهند ثم دخل العراق وأخذ من علمائها ، ثم رحل إلى بغداد سنة ٦١٥ هـ في أيام الناصر لدين الله الخليفة العباسي ، فطلبه وخلع عليه ، وأرسله بالرسالة الشريفة إلى ملك الهند شمس الدين التمشي سنة ٦١٧ فبقى بها مدة ، ثم خرج من الهند سنة ٦٢٤ فحج ودخل اليمن ، ثم عاد إلى بغداد ، فلما توفي الناصر أعاده الخليفة المستنصر بالله سفيراً له في بلاط السلطان التمشي في ٦٢٦ هـ . ولقد أمضى الصغاني في هذه المرة مدة كبيرة في الهند . ثم سافر إلى اليمن وقضى بها زمناً يسيراً ، ثم عاد إلى بغداد ثم بعثه الخليفة المستنصر بالله مرة أخرى سفيراً له إلى الملكة رضية بنت التمشي في ٦٣٤ ومكث عندها ثلاث سنوات . وتوفيت الملكة . وتولى الحكم أخوها في ٦٣٧ فعاد الصغاني إلى بغداد سنة ٦٣٧ هـ .

ومن العجب أن الصغاني لم ينسب نفسه إلى « لاهور » . ولم ينسب نفسه إلى غزنة ، وإنما حرص كل الحرص أن تكون لفظة « الصغاني » هي التي يميز بها نفسه . حتى في معجميه التكملة والعباب لم يذكر اسم « لاهور » لا في مادة « لهر » ولا في مادة « لهور » ولا في مادة « لوهر » .

وجاء في تاج العروس في مستدركاذه بعد مادة « لهر » وقبل مادة « مار » ما يأتي « لهور ، كجعفر ، ويقال : لاهور ، كساجور ، ويقال أيضاً « لهاور » : مدينة عظيمة بالهند ، بها ولد الصاغاني صاحب العباب .

أما « صغانيان » التي ينسب نفسه إليها دائماً فقد ذكر في كتابه التكملة في مادة « صغن » . . . وكثير من الصغانيين منسوبون إلى بلد يسمى

جفانيان بما وراء النهر كثير الخير مخضب . في كل دار من دورهم ماء جار . وقال البشارى : به ستة عشر ألف قرية ، وأبدلت الجيم صاداً .

وهناك صغاني آخر اسمه أبو بكر محمد بن إسحاق بن جعفر الصغاني ، ذكره ياقوت في معجمه في رسم صغانيان فقال : نزيل بغداد ، أحد الثقات . . روى عنه مسلم بن الحجاج القشيري وأبو عيسى الترمذي ومات سنة ٢٧٠ هـ .

على أن خير ما يكون مترجماً لحياة الصغاني ما يذكره هو في أثناء كلامه في مؤلفاته استطراداً . ومؤرخاً لما يذكره .

١ - يقول في مادة « بيض » من العباب بعد أن يروي البيت الذي من قصيدة بشانه النهشلي في الحماسة وهو :

بيض مفارقنا تغلى مراجلنا نأسو بأموالنا آثار أيدينا

سمعت والدي - ألبسه الله حلل رضوانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه - في شهر ستة نيف وثمانين وخمسمائة ، وأكبر ظني أن ذلك كان بغزنة .

يقول : كنت أقرأ في صباى في كتاب الحماسة لأبي تمام على شيخى بغزنة ففسر لى هذا البيت ، وأول قوله : « بيض مفارقنا » مائتى تأويل ، فاستغربت ذلك ، حتى وجدت الكتاب الذى بين فيه هذه الوجوه ببغداد ، في حدود سنة أربعين وستائة ، والحمد لله على نعمه .

فهذا النص يفيد أنه كان بغزنة وعمره لم يتجاوز العاشرة ، وأن أباه أيضاً تعلم بغزنة فى صباه ، وكان محباً للأدب . ولعله كان من المقيمين فيها والعاملين بها .

٢ - وفي مادة « لبخ » : قال الصغاني مؤلف هذا الكتاب - أى العباب - رأيت ثمر هذه الشجرة بزبيد سنة خمس وستائة . ورأيت ثمرتها أيضاً . والثمره مثل المشمشة الخضراء ، وأهل زبيد يطبخونها مع اللحم .

٣- وفي مادة « كنس » : والكنيسة مرسى من مراسى بحر اليمن مما يلي زبيد للجائى من مكة حرسها الله تعالى . قال الصغاني مؤلف هذا الكتاب : أرسيت بها سنة خمس وسمائه .

٤- وفي مادة « عنبر » : وقيل للترس عنبر لأنه يتخذ من جلد سمكة بحرية يقال لها العنبر . قال الصغاني مؤلف هذا الكتاب : « رأيت أهل جدة منصرفي من الحجاز إلى اليمن سنة ست وسمائة يحتذون أحذية من جلد العنبر ، فتكون أقوى وأبقى وأمتن وأرصن ما تتخذ منه . وقد اتخذت أنا حذاء من جلده » وقريب من نص العباب ما جاء في التكملة له أيضاً ولكن بدون تاريخ ، ونقله الزبيدي في كتابه تاج العروس .

٥- وفي مادة « فرس » : وفرسان مثال غطفان جزيرة مأهولة من جزائر بحر اليمن . قال الصغاني مؤلف هذا الكتاب : أرسيت به أياماً سنة خمس وسمائة . وعندهم مغاص الدر ، والنص أيضاً في تاج العروس .

٦- وفي مادة « كوز » : قال الصغاني مؤلف هذا الكتاب : وهذه الصفة الذملوة ، قلعة من قلاع اليمن ، مررت بها محتاراً إلى تعز من عدن أبين وهي تناغى أعنان السماء ، وتماس منكبي الجوزاء « ولم يذكر تاريخ مروره .

فمن هذه النصوص نئين أنه كان متنقلاً وعمره على الأكثر خمسة وعشرون هاماً إلى الثلاثين ما بين مكة واليمن وأنه كان يتلقى العلم وبخاصة الحديث في مكة . ثم يملئ في اليمن ، واستمر على هذه الصفة قرب سنة ٦١٥ هجرية .

ويؤيده قول ياقوت الحموي الذي عاصر بعض عمره إذ قال كما سبق : قدم العراق وحج ثم دخل اليمن ونفق له بها سوق ، وكان وروده إلى عدن سنة ٦١٠ . . . وكان يقرأ عليه بعدن معالم السنن للخطابي وفي سنة ٦١٣ كان بمكة وقد رجع من اليمن وهو آخر العهد به .

ويبدو من نص ياقوت أن الصغاني دخل العراق قبل أن يذهب إلى الحج ثم دخل اليمن .

٧- ومن النص التالي نعرف أنه عاد إلى مكة . وتلقى فيها معالم السنن « ثم ذهب إلى عدن وحدث بها .

في مكتبة فيض الله باستامبول نسخة من معالم السنن للخطابي صورها معهد المخطوطات . عليها إجازة من الصغاني لتلاميذه ، مؤرخ فيها تلقيه بمكة ومؤرخ فيها تاريخ التدريس ومكانه . وهذا هو النص .

« قرأ هذه المجلدة - من أولها إلى آخرها وهي الأولى - كتب فوقها : الثانية - من معالم السنن للخطابي رخمه الله ، على سيدنا الفقيه الأجل الإمام الأوجده الصدر الكبير المحدث المتقن المتبحر ملك الكلام ، الزاهد الورع . العامل الموفق الأمين ، المحرم المكين . رضى الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، أناله الله مناه ، وأتم مغزاه - أبو بكر بن علي بن محمد بن أبي الكئاب الفارقي الأصل ، العدني المولد والمنشأ عفا الله عنه . يحق قراءته لها - أي قراءة الصغاني لها - على الشيخ الإمام المحدث الثقة الأمين المتقن ، بقية السلف الصالح . برهان الدين أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي الحصري ، عمكة حرسها الله تعالى ، في شهر ذي الحجة من سنة تسع وسمائه ، وسمع القراءة الفقيه حسين بن محمد الجبري والفقيه محمد بن عمر الجبري والفقيه حسين بن علي بن حسين القدسي - الحروف غير واضحة النقط - وصح لهم ذلك ، وأجاز لهم الشيخ الإمام رضى الدين أن يرووه كما سمعوه بالسند المذكور فيه . ووافق الفراغ منها عشية الخميس والعشرين من صفر سنة عشر وسمائة ٦١٠ بمسجد الشيخ ياسر بن بلال الحمدي بمدينة عدن . عمرها الله بالصالحين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ووقع الصغاني بقوله :

هذا صحيح . وكتب الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني . . في التاريخ المذكور .

٨- في مادة « ربض » : أخبرنا نصر بن أبي الفرج بن علي الحصري رخمه الله تعالى بقراءتي عليه بمكة حرسها الله تعالى ، في الحرم الشريف زاده الله شرفاً . قبالة الكعبة المعظمة ، زادها الله تعظيماً ، في شهر رجب ، من شهور سنة ثلاث عشرة وستمائه . . . » .

هذا وابن الحصري شيخ الصغاني يقول عنه الزبيدي في تاج العروس في مادة « حصر » : والإمام برهان الدين أبو الفتوح نصر بن علي بن أبي الفرج بن الحصري المحدث ، حدث عن النقيب أبي طالب العلوي وأبي زرعة المقدسي . . . وانتقل إلى مكة ، وولى إمامة المقام بها ، ثم رحل عنها إلى المهجم باليمن لنشر العلم وبها توفي .

وفي البداية والنهاية حوادث سنة ٦١٩ : وفيها توفي إمام الحنابلة بمكة الشيخ نصر ابن أبي الفرج المعروف بابن الحصري ، جاور بمكة مدة لم يسافر ، ثم ساقته المنية إلى اليمن . فمات بها في هذه السنة .

٩- في سنة ٦١٥ ذهب الصغاني إلى بغداد ، يقول في العباب في مادة « قرط » وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » ويروى : « إلا راعى غنم » . قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة » فالمراد بها قراريط الحساب . قال الصغاني مؤلف هذا الكتاب : قدمت بغداد سنة خمس عشرة وستمائه وهي أول قدمة قدمتها فسألني بعض المحدثين عن معنى القراريط في هذا الحديث فأجبت بما ذكرت « فقال : سمعنا الحافظ الفلاني أن القراريط اسم جبه ل أو موضع . فأنتكرت ذلك كل الإنكار » .

ونلاحظ هنا أنه ينص على وروده بغداد أول مرة في سنة ٦١٥ وسبق قول ياقوت « قدم العراق وحج ثم دخل اليمن ونفق له بها سوق وكان وروده إلى عدن سنة ٦١٠ » فلعل قدومه هنا إلى العراق هو غير دخوله إلى بغداد في سنة ٦١٥ فالعراق قطر كبير وبغداد مدينة .

هذا وسبق أن نقلت عن « شذرات الذهب » أن الصغاني سمع بمكة من
أبي الفتوح بن الحصرى وبيغداد من سعيد بن الرزاز . . .

وسبق الكلام عن ابن الحصرى ، أما سعيد بن الرزاز فقال عنه ابن العماد
في « شذرات الذهب » : توفي سنة ٦١٦ وهو أبو منصور ابن الرزاز سعيد
ابن محمد ابن العلامة المقتى سعيد بن محمد بن عمر البغدادي ، روى البخارى
عن أبي الوقت وحضر أبا الفضل الأرموى .

وقد يكون الصغاني ذهب سفيراً للخليفة في المدة ما بين سنة ٦١٥
و ٦٢٤ وأنه صار ملزماً بالخضوع لما يؤمر به ، ويؤيد ذلك ما ذكره هو
نفسه في كتابه « العباب » في مادة « عبد » إذ يقول : وعبادان جزيرة . . .
معبد العباد ، وملقى عصا الزهاد ، وفيها مشاهد تدعو زوارها بلسان الحال
إلى الانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن الدنيا الدنية . قال الصغاني
مؤلف هذا الكتاب : وردتها سنة أربع وعشرين وستائة . فأردت إلقاء
الجران بها فلم أتمكن من ذلك ، إذ لم يكن زمام أمرى بيدي ، فغلبنى البكاء
والعويل ، وأردفت الأنين بالألليل ، وأنشأت أقول :

جرت نَفْسِي مع الأهواءِ دَهْرًا ولاتَجْرِي إلى الطاعاتِ جَرِيَةً
فلَمَّا جئتُ عَبَّادَانَ أَرَسْتُ وليس وراءَ عَبَّادَانَ قَرْيَةً
ولو ترك القطا ليلاً لنام

ويبدو أن الصغاني ضاق ذرعاً بأن يشغل بالسفارات ، وهو الرجل
المحب للعلم ، يطلبه ويؤلف فيه ، ويقارن بين النسخ المكتوبة ، ليظفر
بأحسنها ضبطاً ، وأحسنها إتقاناً ، فذهب إلى مكة المكرمة ملتجئاً ، وظل
يطلق على نفسه هذا الوصف وإن لم يكن موجوداً بها . لكي يصون نفسه
من أن تناله أيدي المتسلطين .

يقول في آخر كتابه « التكملة » : « قد يسر الله تعالى الفراغ من تأليفه صبيحة يوم الجمعة وقت فتح باب بيت الله الحرام العاشر من صفر سنة خمس وثلاثين وستائه » .

ثم لزم بغداد بعد أسفاره أو أنه ألزم بالبقاء فيها ، ولكنه وجد مكينات حافلة بالكتب القيمة ، فانصرف إلى التأليف ، مع اعتباره نفسه ملتجئاً إلى بيت الله الحرام . وقد يكون هناك أو تكون في الطريق ظروف قاهرة هي التي حالت دون رجوعه إلى مكة ، وليس لأصحاب السلطان فيها شأن ، ولعلنا نعر على تلك العوامل التي منعتنا . بل إننا سنلاحظ بعضاً منها فيما يأتي عابراً في المؤلفات التاريخية .

في كتاب البداية والنهاية في حوادث سنة ٦٢٨ في الجزء الثاني عشر صفحة ١٢٩ « وحج الناس في هذه السنة من الشام ، ثم لم يحج الناس بعد هذه السنة أيضاً ، لكثرة الحروب والخوف من التتار والفرنج » .

وفي البداية والنهاية أيضاً في الجزء الثالث عشر في صفحة ١٨٢ « ثم دخلت سنة خمسين وستائة هجرية ، وفيها حج الناس من بغداد ، وكان لهم عشر سنين لم يحجوا من زمن المستنصر » .

ومن هذين النصين قد يتبين لنا السبب في إحصار الصغاني الذي اعتبر نفسه ملتجئاً إلى مكة ، في حين أنه لم يرجع إليها إلا بعد وفاته محمولاً كما أوصى ليدفن هناك .

* * *

تتوالى في النسخة التي بخط الصغاني من كتابه « العباب » جملة « الملتجىء إلى حرم الله تعالى » في الجزء الذي يبدأ من مادة صبر وينتهي بمادة سيس يقول : تأليف الملتجىء إلى حرم الله تعالى . وفي آخر هذا الجزء : فرغ

من تحريره يوم الخميس السابع عشر من شهر المبارك ذى القعدة من شهر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وفي آخر حرف الطاء : تأليف الملتجىء إلى حرم الله تعالى . . . صنفه وهو محصر عن الإمام بيت الله الحرام ، وتعظيم المشاعر العظام ، وهو يسأل الله فكه وإطلاقه ، وتيسيرة اندفاعه وانطلاقه .

وفي آخر الطاء : « تأليف الملتجىء إلى حرم الله تعالى . . ألفه وهو ممنوع من العود إلى أشرف البقاع ، ودموعه هامة دائمة التهامع ، وهو يجأر إلى الله في نجلته عنه هذا العبار ، ونعشه من هذا العثار ، فقد نيف على السبعين بثلاث سنين ، ولم يحل بصاف معين ، ولا مصاف معين . »

وفي آخر المجلد الرابع عشر وهو بخطه « على يدي مؤلفه الملتجىء إلى حرم الله تعالى ، بلغه الله قواصي مباحيه ، وهي إعادته إلى حرمه ، وملكه نواصي ما يناغيه وهي أن يقبره هنالك بكرمه ، يوم السبت الثالث عشر من ذى القعدة من شهر سنة تسع وأربعين وسبعمائة . »

وفي آخر المجلد الخامس عشر : « على يدي مؤلفه الملتجىء إلى حرم الله تعالى . . طول الله حبل أمله ، قبل أن يطوى حبل أجله ، ضحوة يوم السبت لست ليال بقين من شهر الله المحرم سنة خمسين وسبعمائة . »

ولم أظفر ببقية الأجزاء التي بخطه حتى مادة بكم التي انتهى إليها تأليفه للعباب . ومعلوم أن الصغاني توفي سنة ٦٥٠ هجرية ببغداد وكان ذلك في شهر شعبان - على الأصح - وحج الناس بعد ذلك ، فأخذوا جثمانه ودفنوه في مكة ، حيث أوصى بذلك وجعل لمن يحمل جسده خمسين ديناراً .

* * *

كان الصغاني ينتقى أحسن النسخ من المخطوطات ويشير إلى ذلك في ثنايا

ما ألفه ، غير ما يكتبه في مقدماته أو في نهاية مؤلفاته من مراجع كثيرة جداً ، هي من خيرة المراجع في موادها ولعظماء المؤلفين السابقين ، كما يشير إلى بلاد مر بها أو أقام فيها وانتفع بما فيها من مؤلفات .

يقول في مقدمة كتابه «العباب» حين ذكر الصحاح للجوهري : وقد صحح نسخته وحشاها من قرأ على هذا الكتاب بالهند والسند واليمن والعراق ، وقد صححت نسخة وحشيتها بخطى بمدينة السلام حماها الله تعالى .

وعند ذكر ديوان ذي الرمة يقول : في نسختي من ديوانه التي قابلتها وصححتها باليمن والعراق .

ويذكر لنا نسخة من التهذيب فيقول في مادة قفص : رأيت في نسخة من التهذيب للأزهرى موقوفة بالمدرسة النظامية ببغداد رهي في غاية الوضوح ضبطاً وشكلاً .

وفي مادة شوش يذكر الهيثم بن كليب بن شريح الشاشي صاحب المسند الكبير ويقول : مسنده عندي وهو سماعي ، ولم أجد ببغداد نسخة سوى ما عندي .

وفي مادة عطرس : قال الصغاني مؤلف هذا الكتاب : « لم أجد للخنساء قصيدة ولا قطعة على قافية السين المضمومة من بحر البسيط مع كثرة ما طالعت من نسخ ديوان شعرها » .

وفي مادة صنع : « هذا التركيب مهمل في كتب اللغة التي سميتها في صدر هذا الكتاب ، وإنما حملني على ذكره أني رأيت ابن العصار السلمي الرقي وخطه في الصحة والإتقان حجة في مزال العضلات ومعاميتها ، ومضال المشكلات ومواميها . محجة في رجزرؤية ولم يتعرض في الشرح لعناه ، وكذا في سائر نسخ موجودة ببغداد من أراجيز رؤبة . ورأيت في نسخة مقروءة على ابن دريد من أراجيزه برواية أبي حاتم وتاريخ الفراغ من

نسخها ذو الحجة سنة سبع وستين ومائتين . . . ولم يخطر ببال الفحص عن هذا اللفظ إبان إلباني ببلاد الهند وأوان ترددي إليها . فإن بها نسخاً متقنة لهذا الديوان ولسائر دواوين العرب » .

* * *

الحق أن الحديث عن الصغاني وكتبه يحتاج إلى كثير من الصفحات ، وكذلك استقصاء ما يرويه عرضاً من أماكن وتواريخ وطرائف ، رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم للعلم من خدمات .

عبد الستار أحمد فرج

الرمالة العرشية

للشيخ الرئيس ابن سينا
(أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا)
المتوفى سنة ٤٣٨هـ سنة ١٠٣٧م

محقق وتقديم
الدكتور إبراهيم هلال

مقدمة التحقيق

(أ)

التعريف بالرسالة

قد وصف ابن سينا هذه الرسالة بنفسه عندما قال في بدئها بعد الحمد لله :

« أما بعد فقد سألتني بعض من ينتمي إلى أن أذكر له رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيد على الوجه الذي يجب أن يعتقد في الله وصفاته وأفعاله ، مجاناً جانب التقليد مائلاً إلى محض التحقيق على سبيل الاختصار ، فأجبتهم إلى منتمسه مستعيناً بالله ربنا . »

فهى رسالة تدور حول إثبات التوحيد لله سبحانه ، وقد استدعى ذلك منه أن يتكلم فيها عن ثلاثة موضوعات :

الأول : عن صفات الله سبحانه .

الثاني : عن صدور الأفعال عنه .

الثالث : عن قضاء الله وقاره . ومعرفة هذه الثلاثة هو حقيقة التوحيد وبيانها هو بيانه . وقد نهج في معالجته لهذه الموضوعات نهج مفكر معتمد على نفسه ، وعلى ما يوصله إليه بحثه الخاص ، ونظره في كتاب الله سبحانه الذي أنزل على محمد نبي . صلى الله عليه وسلم ، كما أشار إلى ذلك فيما تقدم : « . . . مجاناً جانب التقليد ، مائلاً إلى محض التحقيق » .

وقد جعلته هذه الأصاله الفكرية يقيم منهجه على أصول ثلاثة أشار إليها في قوله : « وهذه الرسالة مشتملة على ثلاثة أصول :

الأصل الأول : فى إثبات واجب الوجود . الثانى : فى وحدانيته .
الثالث فى نفي العلل عنه . أى عدم وجود علة أو سبب لوجوده ، كما أنه
ليست هناك علة غائية لأعماله تجبره على إصدار هذه الأعمال .

وهى فى الواقع أصول عقلية فكرية من نتاج نظره فى القرآن الكريم
وعقيدته الدينية كمفكر مسلم ، وإن كان قد غلبه التفكير الفلسفى الذى
استقاه من مصادر أخرى غير إسلامية فى بعض المواضع كما سيأتى :

وبهذا يتبين لنا أن ابن سينا فى هذه الرسالة ، شأنه فى بقية كتبه ورسائله
يمتحن من معينين : معين الكتاب والسنة ، والمعين الآخر : معين الفيلسوف
الأجنى على مختلف ألوانه (١) . وكلاهما له نتائج فى أفكاره ، وغاياته
التي تدل على بدايته .

وهو الذى جعل الإمام ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) يقول فيه :
« وصنف ابن سينا كتاباً زاد فيها بمقتضى الأصول المشتركة : أشياء لم يذكرها
المتقدمون ، وسعى ذلك العلم الإلهى ، وتكلم فى ذلك بكلام فيه شرف
ورفعة ، بالنسبة إلى كلام المتقدمين ، وإن كان عند العلوم الإلهية النبوية
فيه من القصور والتقصير ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة بالعلم والإيمان ،
وإنما راج على من سلك طريق المتفلسفة ، لأنه قرب إليهم معرفة الله والنبوات
والمعجزات والولاية بحسب أصول الصابئة الفلاسفة ، لا بحسب الحق فى
نفسه .

ولهذا فإن الفلاسفة الباقين على محض كلام المشائين يرون أن ابن سينا
صانع الميئين لما رأوا من تقريبه ، وجهلوا فيما قالوا ، وكذبوا ، لم يصانع .
واكن قال بموجب الحق ، وبموافقة أصولهم العقلية - ما قاله من الحق الذى
أقرَّ به « (٢) .

(١) انظر : كتاب (نظرية المعرفة الإشراقية ج ١ ص ٤١ - ٤٨) . نشر دار النهضة
العربية بالقاهرة .

(٢) انظر : مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ٢ (كتاب توحيد الربوبية) ص ٨٤ طبعة
الملك سعود سنة ١٣٨١ هـ .

فكما قال ابن سينا عن نفسه إنه يتكلم في هذه الرسالة « مجاناً جانب التقليد ، مائلاً إلى محض التحقيق . . » ، نجد ابن تيمية يرى فيه هذه الصورة أيضاً ، ويقول عنه : إنه قال ما قال بموجب الحق الذي أقر به .

وهذا الجانب الإسلامي أو السني عند ابن سينا قد برز قوياً مبهراً في كلامه عن صفات الله وبيانها كالاتي بشكل مطرد وبصفة شاملة . فبعد أن تكلم عن الأصول الثلاثة المتقدمة وأثبتها بالطريقة العقلية السنية بدأ يتكلم في الصفات فيقول : « اعلم أنه لما ثبت أنه واجب الوجود ، وأنه واحد من كل وجه ، وأنه منزّه عن العلل ، وأنه لا سبب له بوجه من الوجوه ، وثبت أن صفاته غير زائدة على ذاته ، وأنه موصوف بصفات المدح والكمال لزم القول بكرنه عالماً حياً مريداً قادراً متكلماً بصيراً سمياً ، وغير ذلك من الصفات الحسنى » .

وهكذا يخوض هذا الموضوع بقوة ، ويأتي بكلام فيه شرف ورفعة كما قال ابن تيمية حتى ينتهي إلى إرساء التوحيد في النفوس على هذا الوجه : « فإذا عرفت هذه الصفات ، وعلمت أنه واجب الوجود وأنه لا علة له داخلية ، ولا خارجية ، يسهل عليك معرفة بقية الأشياء والصفات التي أطلقت عليه تعالى ، فإنه إذا قيل حق فعناه راجع إلى وجوب وجوده .

وإذا قيل إنه جواد فعناه أنه يفيد الوجود من غير عوض ولا غرض للمدح والتخلص من مذمة ، ولا لقصد ينتفع به من الغير .

وإذا قيل ملك فهو المستغنى الذي يستغنى عن كل شيء ، ولا يستغنى عنه شيء .

وإذا قيل أول فهو باعتبار ذاته هو الذي لا تركيب فيه وأنه المنزه عن العلل . . .

فإذا ثبت أنه واجب الوجود ، وأنه لا علة له وأنه تام الوجود ولا يفوت

منه كمال . فإذا عرفت هذا فيعلم أن جميع ما سواه هو فعله ، وأنه صدر عنه لذاته . . . » .

فإذا جئنا إلى قوله في قضاء الله وقدره وجدناه من هذا الطراز وبهذا القول الفصل . فراه يوضح لنا فكرة الخير والشر ويبين حقيقة الشر ، وما هو الخير ، وأنه قد يكون من كمال الخير وجود الشر ، وعلى هذا فليس الشر شراً إلا من وجهة نظرنا أو لسوء استعمالنا . ومما قاله في هذا الموضوع : « وأما الشر المطلق والغالب والمساوي فلم يوجد ، لأن احتمال الشر الكثير لأجل أن يحصل خير يسير شر كثير وأما الشر المطلق فمتنع الوجود أصلاً ، فلا تقتضى الحكمة إيجاداً . وأما الخير الغالب فيجب في الحكمة إيجاداً ، ولا يليق بالحدود إهماله لأنه نتيجة العلم السابق بنظام الكل على الوجه التام ، فهو لازم للوجود ، ولأن احتمال الشر اليسير لأجل أن يحصل خير كثير ، خير كثير » .

وابن سينا في أثناء هذا ، وفي غضون ذلك يستعين بالآيات القرآنية موضعاً بها ، أو شارحاً ، أو مستدلاً ، فجاء بيانه في هذه الرسالة قائماً على الحجج العقلية النابعة من الوجهة القرآنية السانية حتى إننا وجدناه يأخذ من المعتزلة جانباً ويوجه إليهم لوماً في مسألة (وجوب الصلاح والأصلح على الله) فيقول : « وأنه لا يجب عليه رعاية الأصلح والصلاح كما هدى به جماعة من الصفاتية ، إذ لو كان ما يفعله من الصلاح واجباً عليه لما استوجب بذلك الفعل شكراً ولا حمداً ، لأنه يكون قاضياً لما وجب عليه ، ويكون في الشاهد كمن قضى دينه ، ، فإنه لا يستوجب به شيئاً بل أفعاله منه وله » .

هذا هو امتداد الخط القرآني عنده ، ونتيجة الاتجاه السني ، أما نتيجة الاتجاه الفلسفي فقد ظهر في استخدامه لنظرية المعرفة الإشراقية ، أو نظرية العقول ، في تفسير الوحي والنبوة . كما ظهر في استخدامه أيضاً لنظرية الفيض في تفسير وجود الكون عن الله أو خلل الله للكون .

أما بالنسبة للأمر الأول فزراه يصف كلام الله سبحانه وتعالى أو وحيه إلى أنبيائه بأنه « فيضان العلوم منه على لوح قلب النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة القلم النقاش الذي يعبر عنه بالعقل الفعال ، والملك المقرب (١) الخ » وكلمة العقل الفعال هذه كلمة لا تعهد إلا في مجال الفلسفة ، وليس لها وجود في العلم الإسلامي علم الكتاب والسنة ، لا لفظاً ، ولا معنى ، وإنما المعروف أن جبريل هو الملك الموكل بالوحي ، والذي ينزل به على الرسول ﷺ ويتنزل معه لمستوى بشريته فيلقيه إليه بلسان عربي مبين ، كما قال تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » (٢) .

وأما بالنسبة للأمر الثاني ، وهو أخذه بنظرية الفيض في تفسير الوجود والكون فقد أودع ذلك في الفصل الخاص بصدور الأفعال عنه سبحانه ، ومن قوله في ذلك : « . . . فإذا الصادر الأول منه غير جسم ، فهو إذاً جوهر ، وهذا هو العقل الأول . . . فالأول عقل ثم نفس ، ثم جرم السماء ، ثم مواد العناصر الأربعة . . . » . وتفصيل ذلك في موضعه من الرسالة .

وهذا تفسير خاطيء قد جره إليه غلوه في تنزيه الله سبحانه ، وهو أنه بما أنه واحد وغير مركب ، فلا يصدر عنه جسم ولا مركب ، وكذلك تصوره للخلق بأنه ولادة على طريقة الغنوصيين . ونسى أن الخلق عند الله إنما هو أمر كما قال : (. . .) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ، ائتيا طوعاً ، أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها الآية) .

وكما قال : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) . وقد رد ابن تيمية عليه في أكثر من كتاب ، وفند رأيه هذا (٣) .

(١) انظر الصفة السابعة .

(٢) سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥ .

(٣) انظر : بغية المراتد لابن تيمية . ونقض المنطق ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء

الشیطان ، والنبوات وغيرها ، لابن تيمية . ونظرية المعرفة الإشراقية لكاتب هذه السطور .

وإذا غرضنا النظر عن هذه الهنات ، فإننا نجد الرسالة بعد ذلك في موضوعها وطريقة المعالجة جاءت مساهمة كبيرة في إثبات حقائق التوحيد بالطريقة العقلية الإيمانية المقنعة ، والتي اشتملت على القوة ، وعلى حرارة الإيمان والحماس الإسلامي .

وقد رأينا صداها هذا بعد ذلك عند ابن رشد ، ومحيي الدين بن عربي في جانبه السنن القرآني وخاصة في فكرة الخير والشر .

والله الموفق .

د. إبراهيم إبراهيم هلال
الجمعة ٢٠ من رمضان سنة ١٤٠٠ هـ
١ من أغسطس سنة ١٩٨٠ م

النسخ التي أخرجت عليها

هذه الرسالة

والنسخ التي أخرجت عليها هذه الرسالة نسختان :

(أ) الأولى مصورة على ميكروفيلم في معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة - عن مكتبة مجلس شوري طهران ، وقد التقطت على الفيلم ضمن مجموعة رسائل أخرى أو كتب . ولكنها فصلت عن هذه المجموعة ، وأخذت صفحات من ١٦ - ٣٠ فعدد أوراقها خمس عشرة ورقة ، وصورت في مقاس ١٨-٢٤ سم . وهي مكتوبة بخط نسخ حسن في القرن العاشر الهجري وهي على الفيلم بعنوان :

رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيد

وكاتبها سماها في النهاية (الرسالة العرشية) حيث قال في نهايتها :
(تمت الرسالة العرشية والحمد لله على آلائه الخ . . .) . ولم يذكر اسمه .
ورغم جودة الخط والعناية به ، إلا أن فيها تصحيحا كثيرا لبعض الكلمات . وسقط للبعض الآخر .

ورقم هذه الصورة في فهرس مخطوطات المعهد (١٤٠) فلسفة .. ورقم الفيلم : ٣٠٠٠٦ .

ورقم المخطوطة التي أخذت عنها في مكتبة مجلس شوري طهران :
٥/٧٨٥١ (الرسالة الخامسة) ضمن مجموعة .

وقد بدئت بقول ابن سينا : (الحمد لله والحمد من نعمه ، وأعول في جميع أحوالي على كرمه . أما بعد . . . فقد سألتني بعض من ينتمى إلى أن أذكر له رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيد الخ) .

وقد رمزت لهذه النسخة في التحقيق برمز (أ).

[وصف خط هذه النسخة إملائيًا]

تسير في مجملها على الإملاء الحديث العام غير أنها لا تزال تحتفظ من اصطلاحات الإملاء القديم بما يلي :

١- يضع الناسخ نقطة تحت الحروف المهملة أو فوقها مثل متحدة : متحدة . عالم : غالم .

٢- يختصر حروف بعض الكلمات ويشير إلى هذا الاختصار بوضع مدة فوق الحرف الأخير مثل : محال : محـ . مخلو : يخـ . يقال يقـ . .

٣- في حالات كثيرة يضع ياء المضارعة مكان التاء : يقبل : تقبل .

٤- الأسلوب تعريه الركافة في بعض الحالات مثل (لبرائها) . مكان لبراءتها .

٥- يهمل كثيراً من الحروف المنقوطة ، فلا ينقطها مثل : العوارض العوارص . .

٦- يبديل الحاء بالعين في بعض الكلمات : مثل : العوارض : الحوارض .

٧- يصل الكلمات التي من شأنها أن تفصل مثل (كل ما) : كلما .

٨- يكتب التاء المفتوحة مربوطة مثل العبارات : العبارة . وجدت وجدته .

٩- يسهل الهمزة في بعض الأحيان .

وقد ألزمت في التحقيق بالإملاء الحديث .

(ب) النسخة الثانية

والنسخة الثانية (ب) : مطبوعة في حيدر آباد الدكن بالهند بدائرة المعارف في ٢٤ من ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ هـ . ضمن مجموعة رسائل أخرى لابن سينا . وهذه النسخة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٩٤٥٠ وهي مطبوعة بعنوان الرسالة العرشية .

وقد بدئت بنفس البدء الذى بدئت به النسخة (أ) .

وقد جاء في آخر هذه النسخة : « وقد نقلنا هذه الرسالة عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة رامبور من الهند تحت رقم (٨٢) في الحكمة - وقابلناها على نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن . . وقد اعتنى بمقابلتها وتصحيحها . . . مولانا السيد عبدالله بن أحمد العلوى » .

السيد زين العابدين الموسوى

رفيق دائرة المعارف

وفي هذه النسخة أيضاً سقط استعنا عليه بما ثبت في النسخة : (أ) ، وبالاجتهاد في إقامة السياق وتعديله .

وعلى هذا فهذه النسخة المطبوعة بحيدر آباد (ب) مراجعة على نسختين آخرين ..

وقد نسقت فيها العناوين وبوبت في الوقت الذى لم تبوب فيه النسخة (أ)

منهج التحقيق

١ - اعتبرت النسختين : (أ) و (ب) أصليين لهذا التحقيق ، إذ أنهما متساويتان بما تحملان من سقط وإن كانت أماكنه تختلف بين النسختين ، لذلك جعلت كلتاهما تكمل الأخرى .

٢- عند الاختلاف بين النسختين أشير إلى ذلك في الهامش . وكذلك عند وجود سقط في إحدى النسختين أو اضطراب في الأسلوب .

٣- قد تسقط من النسختين معاً كلمة أو حرف ، فأراه لازماً لاستقامة الأسلوب فأضعه بين معقوفين [] هكذا وأنبه عليه ، وإن كان ذلك قليلاً جداً .

٤- علقت بعض التعليقات في الهامش ، لإيضاح غموض في بعض المصطلحات أو الكلمات ، أو لإبداء الرأي الذي أراه صحيحاً في قبالة رأى المؤلف ، أو لإيضاح بعض آرائه الصحيحة والتي يقدمها في اختصار كما هو منهجه في هذه الرسالة - حيث أرى أن هذا الرأي يحتاج إلى إيضاح ؛ إلى جانب المقدمة التي بدأت بها التحقيق وعرفت فيها بالرسالة .

٥- بوبت الرسالة بعناوين المؤلف على طريقة النسخة المطبوعة .

٦- وبمقارنة النسختين بعضهما ببعض تبين لي أن النساخ كانوا يتصرفون في التعبير في بعض الكلمات التي لا تضر كثيراً أولاً تؤثر في المعنى مثل عليه السلام في (أ) وصلى الله عليه وآله وسلم (ب) ، والعكس بالعكس فأبقيت مثل هذا على ما هو عليه في (أ) ، وكذلك الكلمات الأخرى ما دام المعنى يستقيم .

كذلك قد تصرف النساخ في ختام النسختين بما راق لهم كما أشرت إلى ذلك في نهاية الرسالة ، وقد أبقيت على ما جاء في (أ) بهذا الصدد . والله أسأل أن يثيبني على هذا العمل وأن ينفع به في مجال الدراسات الإسلامية والدعوة إلى الله .

د. إبراهيم إبراهيم هلال

الرسالة العرشية

لابن سينا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والحمد من نعمه ، وأعول في جميع أحوالي على كرمه .

أما بعد .

فقد سألتني بعض من ينتمي إلى أن أذكر له رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيد على الوجه الذي يجب أن يعتقد في الله وصفاته وأفعاله *

(١٧ أ) مجانياً جانب التقليد ، مائلاً إلى محض التحقيق على سبيل الاختصار فأجبتة إلى ملتسمه مستعيناً بالله تعالى ربنا .

وهذه الرسالة الوجيزة (١) مشتملة على ثلاثة أصول :

الأصل الأول : في إثبات الواجب الوجود .

الأصل الثاني : في وحدانيته .

الأصل الثالث : في نفي العلل عنه .

(الأصل الأول في إثبات واجب الوجود)

اعلم أن الموجود إما أن يكون له سبب في وجوده أولاً سبب له فإن كان له سبب فنسميه (٢) ممكن الوجود سواء كان قبل الوجود إذا فرضناه

* هذا الجزء في غلاف الرسالة .

(١) لا توجد في : (ب) .

(٢) في (ب) : (فهو الممكن سواء قبل الوجود . . . الخ) .

في الذهن أو في حالة الوجود لأن ما يمكن وجوده فدخوله في الوجود لا يزيل عنه إمكان الوجود .

وإن لم يكن له سبب * في وجوده بوجه من الوجوه فنسميه (١) واجب الوجود . فإذا تحققت هذه القاعدة فالدليل على أن في (٢) الوجود موجوداً لا سبب له في وجوده (٣) ما قوله (٤) .

فهذا الوجود إما ممكن الوجود ، وإما واجب الوجود ، فإن كان واجب الوجود فقد ثبت ما طلبناه ، وإن كان ممكن الوجود ، فممكن الوجود لا يدخل في الوجود إلا بسبب يرجح وجوده على عدمه ، فإن كان سببه أيضاً ممكن الوجود ، فهكذا تتعلق الممكنات بعضها ببعض فلا يكون موجوداً ألبتة لأن هذا الوجود الذي فرضناه لا يدخل في (١٧ ب) الوجود ما لم يسبقه وجود ما لا يتناهى وهو محال ، فإذا الممكنات ينتهى بواجب الوجود .

(الأصل الثاني في وحدانيته جل وعلا)

اعلم أن واجب الوجود (٥) لا يجوز أن يكون اثنين بوجه من الوجوه . وبرهانه أنه لو فرضنا واجب وجود (٦) آخر فلا بد أن يتميز أحدهم عن الآخر حتى يقال هذا (٧) وذاك .

والتميز (٨) إما أن يكون بذاتي أو عرضي ، فإن كان التميز بينهما

(١) في (ب) : (فهو) .
* هذا يقابل في تعبير اليونانيين (علة) فيسمون الله علة الملل ، أى السبب في كل شيء . حيث إنه لا سبب له ، أى هو الموجد لكل شيء فلا يحتاج لمن يوجد .

(٢) سقطت في (أ)

(٣) (أ) في (وجود) فقط .

(٤) في (أ) سقطت : (أقوله) .

(٥) في ب : (واجب الوجود تعالى) .

(٦) في (ب) : (الوجود) .

(٧) في (ب) : (أو ذاك) .

(٨) سقطت من (ب) .

بعرضي ، فهذا العرضي ، لا يخلو إما أن يكون في كل واحد منهما أو في أحدهما ، فإن كان في كل واحد منهما عرضي يتميز به عن الآخر فكل واحد منهما (١) معلول. لأن العرضي (٢) ما يلحق الشيء بعد تحقق ذاته . وإن كان العرضي (٣) من قبل ما يلزم الوجود ، ويكون في أحدهما دون الآخر فيكون الذي لا عرضي له واجب الوجود ، والآخر لا يكون واجب الوجود ، وإن كان التمييز بينهما بذاتي ، فالذاتي ما يتقوم به الذات .

وإن كان لكل واحد منهما ذاتي غير ما للآخر يتميز به عنه ، فيكون كل واحد منهما مركباً ، والمركب معلول ، فلا يكون كل واحد منهما واجب الوجود .

وإن كان هذا الذاتي لأحدهما ، والآخر واحد من كل وجه لا تركيب فيه بوجه من الوجوه ، فالذي ليس له ذاتي هو واجب الوجود والآخر لا يكون واجب الوجود .

(١٨ أ) فإذا ثبت بهذا أن واجب الوجود (ليس له ذاتي) (٤) ، فإن (٥) واجب الوجود لا يجوز أن يكون اثنين ، بل كل حق فإنه من حيث حقيقته الذاتية التي هو بها حق فهو متفق واحد لا يشاركه فيه غيره ، فكيف ما ينال به كل حق وجود به .

(الأصل الثالث في نفي العلل عنه)

وهو نتيجة الأصل الأول .

-
- (١) سقط هذا الجزء من (أ) .
 - (٢) في أ (العرض) .
 - (٣) في أ (العرض) .
 - (٤) سقطت من : (ب) .
 - (٥) في أ (إن) .

اعلم (١) أن واجب الوجود لا علة له ألبتة . والعلل أربع :

ما منه وجود الشيء ، وهو العلة الفاعلية . وما لأجله وجود الشيء وهو العلة الغائية التامة . وما فيه وجود الشيء ، وهي العلة المادية . وما به وجود الشيء وهو العلة الصورية .

ووجه حصر هذه العلل في هذه الأربع أن السبب للشيء إما أن يكون داخلاً في قوامه ، وجزءاً من وجوده ، أو يكون خارجاً عنه .

فإن كان داخلاً : فإما أن يكون الجزء الذي يكون فيه الشيء بالقوة لا بالفعل وهو المادة . وإما أن يكون الجزء الذي يصير فيه الشيء بالفعل وهو الصورة .

وإن كان خارجاً فلا يخلو إما أن يكون ما منه وجود الشيء ، وهو الفاعل ، وإما أن يكون ما لأجله وجود الشيء وهو المقصود والغاية .

٨ (١ ب) فإذا ثبت أن هذه هي الأصول فليعطف عليها ولنبين (٢) المسائل التي هي متشعبة عنها فنقول :

برهان أنه لا علة فاعلية ظاهر ، وهو أنه لو كان له سبب في الوجود لكان هذا حادثاً ، وذلك واجب الوجود .

وإذا ثبت أنه لا علة له فاعلية ، فهذا الاعتبار لا تكفون ماهيته غير إنيته أي غير وجوده ، ولا يكون جوهرراً ، ولا يكون عرضاً ، ولا يجوز أن يكون اثنان كل واحد منهما مستفاد الوجود (٣) من الآخر ، واجب الوجود من وجه وممكن (٤) الوجود من وجه آخر .

(١) سقطت من : (أ) .

(٢) في (أ) : (ونبين) .

(٣) في (أ) : (الوجوه) وهو تصحيف .

(٤) في (أ) : (ممكن) .

(بيان) أنه (١) لا تكون ماهيته غير إنيته ، بل يتحد (٢) ، (وجوده) (٣) في حقيقته ، لأنه إذا لم يكن وجوده نفس حقيقته ، فيكون الوجود عارضاً لحقيقته (٤) ، وكل عارض فعول وكل معلول محتاج إلى السبب .

فهذا السبب إما أن يكون خارجاً عن ماهية ، أو يكون (٥) هو ماهية . فإن كان خارجاً فلا يكون واجب الوجود ، ولا يكون منزهاً عن العلة الفاعلية .

وإن كان السبب هو الماهية ، فالسبب لا بد وأن يكون موجوداً تام (٦) الوجود حتى يحصل وجود غيره منه . والماهية قبل الوجود ، لا وجود لها ولو كان لها وجود قبل هذا لكان مستغنياً عن وجود ثان . ثم كان السؤال .

(١٩- أ) عائداً في ذلك الوجود ، فإنه إن كان عرضياً فيها ، فن أين عرض ولزم ؟ فثبت أن واجب الوجود إنيته ماهيته ، وأنه لا علة له فاعلية . وكان وجوب الوجود (له كالماهية لغيره ، ومنه يظهر أن واجب الوجود) (٧) لا يشبه غيره بوجه من الوجوه * ، لأن كل ما سواه ، فوجوده غير ماهيته .

وبيان أنه ليس بعرض ، لأن العرض هو الموجود في موضوع

(١) (بأن) : وهو تصحيف .

(٢) في (أ) : (يحد) .

(٣) في (أ) : (وحدوه) وهو تصحيف .

(٤) في (ب) اضطراب في العبارة هكذا (فيكون وجوده نفس حقيقته وقد صححها مراجع هذه النسخة في الهامش ص ٤ بما يقرب من هذا المعنى .

(٥) في (أ) (أو ما هو) .

(٦) في (أ) (أيام) وهو تصحيف .

(٧) سقط هذا الجزء من (أ) فأفسد المعنى .

* وهذا قوله تعالى : (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) .

فيكون (١) الموضوع متقدماً عليه ، ولا يمكن وجوده دون الموضوع ، وقد ذكرنا أن واجب الوجود لا سبب له في وجوده .

وبيان أنه لا يجوز أن يكون واجباً وجود كل واحد منهما مستفاد الوجود من الآخر ، لأن كل واحد منهما من الوجه الذي يكون مستفيد الوجود من الآخر يكون متأخراً عنه . ومن الوجه الذي يكون (٢) هو مفيد الوجود يكون متقدماً عليه .

والشيء الواحد لا يكون متقدماً متأخراً بالنسبة إلى وجوده . وأيضاً لو فرضنا عدم ذلك الآخر فهل هذا يكون واجب الوجود أم لا ؟ .

فإن كان واجب الوجود فلا تعلق له بالآخر ، وإن لم يكن واجب الوجود فهو ممكن الوجود فيحتاج إلى غير واجب الوجود .

فإذاً واجب الوجود واحد غير مستفيد الوجود من أحد ، فهو واجب الوجود من كل الوجوه وغير مستفيد الوجود من الآخر . وبيان أنه لا يجوز أن يكون واجب الوجود (٣) من وجه ممكن الوجود من وجه ،

(١٩ ب) أنه (٤) من الوجه الذي هو ممكن الوجود يكون متعلق الوجود بالغير ، ويكون له سبب .

ومن الوجه الذي هو واجب الوجود يكون منقطع العلائق ، فيكون الوجود له ، ولا يكون له ، (٥) وهو محال .

(١) في (أ) : ليكون .

(٢) في (ب) سقطت (هو) .

(٣) سقط هذا الجزء كله من (أ) .

(٤) في (أ) (لأنه) .

(٥) في (ب) (وهذا) .

وبرهان أنه لا علة له مادية قابلة لأن العلة القابلة هي العلة لحصول
المحل المقبول له أي هو المستعد لقبول وجود أو كمال وجود ، فواجب
الوجود كمال بالفعل المحض لا يشوبه نقص ، وكل كمال له ومنه ومسبوق
لذاته وكل نقص ، ولو بالمجاز منتف عنه ، ثم كل كمال وجمال من وجوده
بل من آثار كمال وجوده . فكيف يستفيد كمالاً من غيره . وإذا ثبت أنه
لا علة له قابلة ، فلا يكون له شيء بالقوة ، ولا يكون له صفة منتظرة ،
بل كماله حاصل (١) بالفعل ، ولا يكون له علة مادية .

وقولنا : بالفعل : لفظ مشترك ، أي كل كمال يكون لغيره معلوم
ومتنظر ، وهو له وجود حاضر . فذاته الكاملة المتقدمة على جميع الاعتبارات
واحدة

وبهذا يظهر أن صفاته لا تكون زائدة على ذاته ، لأنها لو كانت زائدة
على ذاته لكانت الصفات بالنسبة إلى الذات تكون بالقوة ، وتكون الذات
(٢٠ أ) مسببة لتلك الصفات فإن تلك الذات (٢) تكون متقدمة عليها ،
فتكون من وجه فاعلة ، ومن وجه قابلة .

وجهة (٣) كونها فاعلة غير جهة كونها قابلة فيكون فيه جهتان
متباينتان ، وهذا مطرد في كل شيء ، فإن الجسم إذا كان متحركاً ، فيكون
التحريك من وجه والتحرك من وجه آخر .

« فإن قيل إن صفته غير زائدة على الذات بل هي داخلة في تقويم الذات ،
والذات لا يتصور وجودها دون تلك الصفات ، فتكون الذات مركبة
فتتجزأ به الوحدة » . (٤) .

(١) في (أ) (حاضر) .

(٢) في (ب) (الصفات) ، وهو خطأ .

(٣) سقطت من (ب) .

(٤) هذا الجزء غير مفيد المعنى ومضطرب العبارة ، وأرى أنه لا داعي له .

ويظهر أيضاً من نفي العلة القابلة أنه يستحيل عليه التغيير لأن التغيير معناه زوال صفة وثبوت أخرى (١) . فيكون فيه بالقوة زوال وثبات . وهذا محال فتبين منه أنه لا ضد له ، كما لا ند له ، لأن الضدين هما الذاتان المتعاقبتان على محل واحد بينهما غاية الخلاف ، وهو عز وجل (٢) غير قابل للأعراض فضلاً عن الأضداد .

وإن جعل الضد عبارة عن المنازع في الملك فتبين أيضاً أنه لا ضد له وتبين أنه يستحيل عليه العدم ، لأنه لما ثبت وجوب وجوده استحالة عدمه ، لأن كل ما يكون بالقوة لا يكون بالفعل ، فيكون فيه جهتان ، وكلما يكون قابلاً لشيء (٢٠ ب) فإذا حصل القبول لا يرتفع القابل فيؤدى إلى ارتفاع الوجود والعدم وهو محال وهذا مطرد في كل ذات ، وفي كل حقيقة متحدة كالملائكة والأرواح البشرية فإنها لا تقبل العدم أصلاً لبراءتها عن لواحق الأجسام . وأما برهان أنه لا علة له صورية أن العلة الصورية الحسبية إنما تكون وتتحقق إذا كانت له (٣) مادة فيكون للمادة شركة في وجود الصورة ، كما أن للصورة حظاً في تقويم المادة في الوجود وبالفعل ، فيكون معلولاً ، ويظهر من انتفاء هذه العلة عند انتفاء جميع العوارض الحسمانية من المكان والزمان ، والجهة والاختصاص بمكان ، وعلى الجملة فكل ما يجوز على الأجسام يستحيل عليه .

وأما بيان لا علة له غائية وكالمالية . لأن العلة الغائية ما يكون لأجلها الشيء . والحق الأول جل وعلا لا يكون لأجل شيء ، بل كل شيء لأجل كمال ذاته وتابع لوجوده ، ومستفاد (٤) من وجوده * .

(١) في (أ) زيادة (فيكون أخرى) .

(٢) في (ب) : (وهو تعالى) .

(٣) سقطت في (أ) .

(٤) (أ) مستفاد .

* وهذا هو قوله تعالى : (له مقاليد السموات والأرض) . (ما من دابة إلا هو آخذ

بناصيتها) . (إليه يرجع الأمر كله) .

ثم العلة الغائية ، وإن كانت في الوجود متأخرة عن سائر العلل فهي في
الذهن متقدمة على سائر العلل . والعلة الغائية تصير العلة الفاعلية بالفعل أعنى
فيما يكون له علة غائية ، وإذا ثبت أنه منزّه عن هذه العلة . (٢١ أ) أيضاً
فتبين أنه لا علة لصفته ، وبه يظهر أنه جواد محض وأنه كمال حق وبه
يظهر معنى غنائه ، وأنه لا يستحسن شيئاً ولا يستقبح شيئاً ، لأنه لو استحسن
شيئاً ، أو استقبح شيئاً ، لوجد ذلك المستحسن ودام ولا نعدم ، ذلك المستقبح
وبطل .

وباختلاف هذه الموجودات تبطل هذه القضية ، لأن الشيء الواحد
من كل وجه لا يستحسن الشيء وضده ، وأنه لا يجب عليه رعاية الصلاح
والأصلح كما هدى به جماعة * من الصفاتية إذ لو كان ما يفعله من الصلاح
واجباً عليه لما استوجب بذلك الفعل شكراً ولا حمداً لأنه يكون قاضياً لما
وجب عليه ، ويكون في الشاهد * * كمن قضى دينه ، فإنه لا يستوجب
بذلك شيئاً . بل أفعاله منه وله كما سنبين بعد .

القول في الصفات على الوجه الذي تلقيناه من هذه الأصرل الممهدة

اعلم أنه لما ثبت أنه واجب الوجود وأنه واحد من كل وجه ، وأنه
منزه عن العلل ، وأنه لا سبب له بوجه من الوجوه ، وثبت أن صفاته غير زائدة على
ذاته ، وأنه موصوف بصفات المدح والكمال لزم القول بكونه عالماً قادراً حياً مريداً

* وهم المعتزلة الذين قالوا بوجوب الصلاح والأصلح على الله : . فهذا أحد أصولهم
الخمسة . ويسميه ابن سينا صفاتية من تسمية الأضداد ، لأنهم ينفون الصفات عن الله مبالغة
في التنزيه ، فهذه المبالغة أو الغلو وقعوا في التعطيل فسماهم خصومهم أيضاً معطلة .

** الشاهد : الناس المشاهدون مقابلة مع الاسم (الغائب) الذي يوصف به الله في هذا
المقام لأنه يغيب عن أبصار الخلق في الدنيا .

(٢١ ب) متكلماً سمياً بصيراً وغير ذلك من الصفات الحسنى ،
 ووجب أن يعلم أن صفاته ترجع إلى سلب أو إضافة (أو) (١) مركب منهما .

وإذا كانت الصفات على هذه الصفة ، فهي ، وإن تكثرت لا تحرم
 الوحدة (و) (١) لا تناقض وجوب الوجود .

أما السلب ، فكالقدم ، فإنه يرجع إلى سلب العدم عنه أولاً وإلى نفي
 السببية ونفي الأول عنه ثانياً (٢) . وكالواحد فإنه عبارة عما لا ينقسم بوجه
 من الوجوه لا قولاً ولا فعلاً ، وإذا قيل واجب الوجود فعناه أنه (٣) موجود
 ولا علة له ، وهو علة لغيره ، فهو جمع بين سلب وإضافة .

وأما الإضافة فلكونه خالقاً بارئاً مصوراً ، وجميع صفات الأفعال .

وأما المركب منهما فكالمريد ، والقادر ، فإنهما مركبان من العلم
 والإضافة إلى الخلق .

وإذا عرفت هذا ، فنحن نذكر بعض صفاته لنهتدى بمعرفتها إلى ما لم
 نذكره :

الصفة الأولى : وفيه بيان أنه عالم بذاته وأن علمه ومعلومه وعالميته شيء
 واحد ، وأنه عالم بغيره ، وأنه عالم بجميع المعلومات بذاته وأنه يعلم الجميع
 بعلم واحد ، وأنه يعلمه على وجه لا يتغير علمه بوجود المعلوم [أو] (٤) عدمه .

وبيان أنه عالم بذاته ما ذكرناه أنه واحد ، وأنه منزّه عن العلل ، فإن
 معنى العلم (٢٢ أ) هو حصول حقيقة مجردة عن الغواشي الحسائية . وإذا ثبت

(١) سقطت من (أ) .

(٢) سقطت من (أ) .

(٣) في (أ) (فيه) وهو تصحيف .

(٤) غير موجودة في (أ) ، ولا في (ب) ولكن السياق يقتضيها .

أنه واحد مجرد عن الجسم وصفاته فهذه الحقيقة على (هذا) الوجه حاصلة له وكل من يحصل له حقيقة مجردة فهو عالم ، ولا يقتضى أن يكون هذا ذاته أو غيره ، لأنه لا تغيب (١) عنه ذاته فهو عالم بذاته .

وبيان أنه علم وعالم ومعلوم ، أن العلم عبارة عن الحقيقة المجردة ، فإذا كانت هذه الحقيقة مجردة فهو علم ، وإذا كانت هذه الحقيقة المجردة له وحاضرة لديه وغير مستورة عنه فهو عالم .

وإذا كانت هذه الحقيقة المجردة لا تحصل إلا به فهو معلوم بعبارات مختلفة .

وإلا فالعلم والعالم والمعلوم بالنسبة إلى ذاته واحد . ونفسك قابل ، فإنك إذا علمت نفسك فعلموك غيرك أو أنت .

فإن كان معلومك غيرك فما علمت نفسك ، وإن كان معلومك نفسك ، فيكون العالم والمعلوم هو النفس . وإذا كانت صورة نفسك مرتسمة في نفسك كانت النفس هي العلم ، فإنك إذا رجعت [إلى] (١) نفسك بالتأمل فلا تجد من نفسك ارتسام حقيقتها وماهيتها فيها مرة أخرى حتى يحصل لك الشعور بتعددتها .

فإذا ثبت أنه يعقل ذاته وعقله ذاته لا يزيد على ذاته كان علماً وعالمًا (٢) ومعلومًا . (٢٢ب) من غير تكثير يلحقه بهذه الصفات ، ولا فرق بين عاقل (٣) وعالم ، لأنهما عبارة عن سلب المادة مطلقاً .

وبيان أنه عالم بغيره أن كل من يعلم نفسه فبعد ذلك إن لم يعلم غيره

(١) في (أ) (لا يعذب عن ذاته) وهو تصحيح .

(٢) لا توجد في النسختين ، ولكنها لازمة لاستقامة الأسلوب .

(٣) في (ب) تقديم وتأخير بين هاتين الكلمتين .

فيكون مانع . والمانع إن كان قائماً فيجب أن لا يعلم نفسه أيضاً ، وإن كان المانع خارجاً فالخارج ممكن رفعه .

فإذا يجوز أن يكون عالماً بغيره بل يجب كما ستعلم من هذا الباب (١) . وبيان أنه عالم بجميع المعلومات أنه قد ثبت أنه واجب الوجود ، وأنه واحد ، وأن الكل منه يوجد ، وعن وجوده حصل ، وأنه عالم بذاته .

وإذا كان عالماً بذاته فعلمه على الوجه الذي هو عليه (٢) وهو أنه مبدأ لجميع الحقائق والموجودات ، فإذا لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء ، بل جميع ما يحصل في الوجود فإنما يحصل بسببه ، وهو مسبب الأسباب فيعلم ما هو مسببه وموجدته ومبدعه .

بيان أنه يعلم الأشياء بعلم واحد وأنه يعلمها على الوجه (٣) الذي لا يتغير بتغير المعلوم :

أنه قد ثبت أن علمه لا يكون زائداً على ذاته ، وهو يعلم ذاته ، وهو مبدأ لجميع الموجودات ، وهو منزّه عن العرض والتغيرات . فإذا يعلم الأشياء على الوجه (٢٣ أ) الذي لا يتغير ، فإن المعلومات تتبع لعلمه - لا علمه تتبع للمعلومات حتى * يتغير بتغيرها لأن علمه الأشياء سبب لوجودها .

ومن هاهنا يظهر أن العلم نفسه قدرة ، وهو يعلم الممكنات كما يعلم الموجودات ، فإن كنا نحن لانعلمها لأن الممكن بالنسبة إلينا يجوز وجوده

(١) في (أ) (بيسان) .

(٢) في (أ) : (هو) ، (وأنه) وهو تصحيف .

(٣) في (أ) : الوجوه التي .

* هنا رد على ابن عربي ، حيث يجعل علمه سبحانه خاضعاً أو تبعاً لوجود الموجودات على ما هي عليه . وهذا هو القضاء عند ابن عربي فمعه أن الله لا يعلم الأشياء ولا يعلم أوصافها إلا بعد كونها على ما هي عليه ، فهي التي تخلق العلم عند الله في رأى ابن عربي ، لا أن علم الله هو الذي يخلقها ، ويخلق أحوالها ويسبقها أيضاً . انظر فصوص الحكم : (الفص العزيزي) .

الصفة الثانية : (كونه حياً) :

قد ثبت أنه واحد وأنه لا علة لذاته ، وإذا عرفت أن حياته ليست صفة عارضة لذاته بل معنى الحى (١) هو العالم بنفسه على ما هو عليه . وإذا قد ذكرنا أنه واحد لا تعزب ذاته عن ذاته ، فإذاً هو حى لأنه العالم بذاته لذاته ، وكل ما سواه ، وإن كان عالماً به فعلمه به بواسطة علمه بذاته جل وعلا .

رأياً ، فالحى يعبر به عن المدرك والفاعل ، فمن له علم وإدراك وفعل فهو حى ، ومن يكون له جميع المعلومات ، وجميع المدركات ، وجميع الأفعال فهو أولى بأن يكون حياً .

الصفة الثالثة : (كونه مريداً) :

فقد ظهر أنه واجب الوجود ، وأنه واحد ، وأنه إليه (٢) تنتهى الموجودات فى سلسلة الترقى والتنزى . فنه وجد الكل وإليه رجوع (٣) الكل ، وبه قوام الكل .

(٢٣ ب) فإذا كل ما سواه فهو فعله وهو فاعله وموجده . والفاعل لا يخلو إما أن يكون بالفعل الصادر منه له شعور أو لم يكن ، فإن لم يكن له شعور فلا يخلو إما أن يكون فعله مختلفاً ، أو متفقاً ، فإن كان فعله متفقاً ، ويجوز عدمه ، وبالنسبة إليه يكون أحد الطرفين معلوماً له فعله بالأجناس والأنواع الموجودات (٤) الممكنات والحلى والخفى واحد .

(١) فى (أ) (الخ) وهو تصحيف .

(٢) فى (أ) تقديم وتأخير .

(٣) فى (أ) (الرجوع) .

(٤) فى (ب) (الموجودات) .

فذلك المبدأ أو السبب هو الطبع ، وإن كان فعله مختلفاً فذلك المبدأ أو السبب هو النفس النباتي (١) .

وإن كان له بفعله شعور ، فلا تخلو إما أن يكون معه تعقل وعلم أو لم يكن ، فإن لم يكن فهو (٢) المبدأ الذي يصدر عنه الأفعال الحيوانية . وإن كان معه تعقل وعلم ، فلا تخلو إما أن يكون فعله متحداً ، أو مختلفاً . فإن كان مختلفاً فهو المبدأ الذي يسمى النفس الإنسانية . وإن كان فعله متحداً لأنه لا يختلف علمه ، فهو النفس الفلكية .

فإذا عرفت هذا ، فنعرف أن (٣) فعل الله تعالى صادر عن العلم الذي لا يشوبه جهل ولا تغير . وكل فعل صادر عن العلم بنظام الأشياء وكمالاتها على أحسن ما يكون فذلك بإرادة ، فإذا هو من ذاته (٤) عالم بوجود الأشياء الصادرة منه على حسن النظام والكمال . وذلك الاختلاف الذي فيها لازم لذواتها . إذ لو فارق (٥) ذا الطبع طبعه لم يكن ذلك طبعاً وهو له ذاتي .

(٢٤ أ) فلا تكون الشمس شمساً مع أن الصورة الشمسية لها ذاتية ، وكذا الكلام في النفس النباتي والحيواني والإنساني والفلكي إذ كل ما حصل لها من التغيير والاختلاف راجع إلى اختلاف موادها فهو ذاتي لها ، ورفع ما هو ذاتي محال .

فإذا الأول فارق الأشياء بعلمه الذي هو سبب الوجود خلة تامة كاملة على أحسن النظام من إحكام وإتقان ودوام واستمرار وهو المسمى بالإرادة

(١) في (أ) (النائي) وهو تصحيف .

(٢) في (أ) (فهذا) .

(٣) في (أ) (فعله) .

(٤) سقطت من (أ) .

(٥) في (ب) (والطبع) .

لأن صدور هذه الأفعال من آثار كمال وجوده . فيلزم أن يكون مريداً لها .
ومن هاهنا يعلم معنى العناية (١) من أنها لا ترجع (٢) إلى ميل وقصد
بتخصيص واحد من الخلق بخير دون غيره . فإننا ذكرنا أنه منزّه عن العلة
الغائية . فإذا العناية تصور نظام الخير في الكل فيدخل في الوجود على حسب
ما علم .

فذلك التصور المتعالى عن التغيير هو العناية ، وتلك الكمالات من آثار
عنايته وإرادته .

الصفة الرابعة : كونه قادراً :

لأننا (٣) بينا أنه عالم ، وأن الفعل الصادر عنه على وفق العلم فيه وأن
العلم بنظام الخير على وجه يعلم أنه من آثار كمال وجوده هو الإرادة ، فإذا
عرفت ذلك فتعلم أن القادر هو الذى يصدر منه .

(٢٤ ب) الفعل على وفق الإرادة ، وهو الذى إن شاء فعل وإن لم
يشأ لم يفعل . ولا يلزم من هذا أنه لا بد أن تكون (٤) مشيئته وإرادته مختلفة حتى
يشاء تارة ولا يشاء أخرى ، لأن اختلاف الإرادات من (٥) اختلاف
الأغراض (٦) ، وقد ذكرنا أنه لا غرض له في فعله ، فإذا مشيئته وإرادته (٧)
متحدة ، لأن هذه قضية شرطية . ولا يلزم من قولنا إن شاء فعل وإن لم يشأ
لم يفعل أنه ولا بد وأن لا يشاء وأن لا يفعل كما يلزم من قولنا إن شاء فعل :

-
- (١) في (ب) الغاية .
 - (٢) في (ب) (يحتاج) .
 - (٣) في (ب) : (أنا) .
 - (٤) في (أ) يكون .
 - (٥) سقطت في (أ) وهى في (ب) : (الاختلاف) .
 - (٦) في (أ) : (الأغراض) .
 - (٧) سقطت من (أ)

أنه لا بد وأن يشاء (١) وأن يفعل ، فإنه علم نظام الخير على الوجه الأبلغ الأكمل فلا تتغير إرادته ومشيتته .

الصفة الخامسة : والسادسة (سميماً وبصيراً) :

وذلك أن الموجودات مختلفة فبعضها مسموع ، وبعضها مبصر ، وكونه عالماً بالمسموعات كونه سميماً وكونه عالماً بالمبصرات (٢) ، هو كونه بصيراً ، فالعلم واحد ، وإنما اختلفت أسماؤه لاختلاف متعلقاته ، فإذا تعلق ببواطن الأشياء سمي خبيراً . وإذا تعلق بظواهر الأشياء سمي شهيداً ، وإذا تعلق بالمعدودات سمي محصياً ، وإذا تعلق بالمسموعات سمي سميماً (وإذا تعلق بالمبصرات سمي بصيراً) (٣) وإذا تعلق بدقائق الأشياء مع حفظ تلك ورعايتها سمي لطيفاً ، وإذا جمع فيقال : (عالم الغيب والشهادة ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) .

٢٥- (أ) الصفة السابعة : كونه متكلماً :

قد ذكرنا أنه واحد ، وأنه منزه عن العلل الأربع ، فوصفه بكونه متكلماً لا يرجع إلى ترديد العبارات ، ولا إلى أحاديث النفس والفكر المتخيلة (٤) المختلفة التي العبارات دلائل عليها .

بل (٥) فيضان العلوم منه على لوح قلب النبي عليه السلام بواسطة القلم النقاش الذي يعبر عنه بالعقل الفعال والملك المقرب ، هو كلامه .

(١) في النسختين اضطراب في إيراد هذه القضية .

(٢) في (أ) هنا سقط

(٣) سقط هذا الجزء من (أ) في هذا المكان ووضع بعد السطر التالي .

(٤) سقطت من (أ) .

(٥) سقطت من (أ) .

فالكلام عبارة عن العلوم (الحاصلة) (١) للنبي عليه السلام . والعلم لا تعدد فيه ولا كثرة ، (وما أمرنا إلا واحدة كالمح بالبصر) (٢) .

بل التعدد إنما يقع في حديث النفس والخيال والحس . فالنبي عليه السلام (٣) يتلقى (٤) علم الغيب من الحق بواسطة الملك . وقوة التخيل تتلقى تلك العلوم (٥) وتتصورها بصورة الحروف والأشكال المختلفة ، وتجذ لوح الحس (٦) فارغاً فتنقش تلك العبارات ، والصور فيه ، فيسمع منها كلاماً منظوماً ويرى شخصاً بشرياً ، فذلك هو الوحي ، لأنه إلقاء الشيء إلى النبي عليه السلام بلا زمان فيتصور في نفسه الصافية صورة الملقى ، والملقى ، كما تتصور في العلوم صورة المقابل فتارة يعبر عن ذلك المنتقش بعبارة العبرية وتارة بعبارة العربية .

٢٥- (ب) فالمصدر واحد والمظهر متعدد . فذلك هو سماع كلام الملائكة ورؤيتها .

وكلما عبر عنه بعبارة قد اقترنت بنفس التصور فذلك هو آيات الكتاب وكلما عبر عنه (بعبارة) (٧) نقشية فذلك هو إخبار النبوة .

فلا يرجع هذا إلى خيال بذهن محسوس مشاهد ، لأن الحس تارة يتلقى (٨) المحسوسات من الحواس الظاهرة وتارة يتلقاها من المشاعر الباطنة .

(١) في (أ) و (ب) الخاصة .

(٢) سورة القمر : ٥٠ .

(٣) في (ب) صلى الله عليه وسلم .

(٤) في (أ) يبلغ .

(٥) سقطت من (ب) .

(٦) في (ب) (النفس) .

(٧) سقطت من (أ) .

(٨) في (أ) يبلغ .

فنحن نرى الأشياء بواسطة القوى الباطنة ، ونحن نرى ثم نعلم ، والنبي عليه السلام (١) يعلم ثم يرى .

فإذا عرفت هذه الصفات ، وعلمت أنه واجب الوجود وأنه واحد (٢) وأنه لا يتكثر ألبة بوجه من الوجوه ، وأنه لا علة له ، لا داخلة ، ولا خارجة ، فيسهل عليك معرفة بقية سائر الأشياء والصفات التي تطلق على الله سبحانه وتعالى ، فإنه إذا قيل حق فعناه راجع إلى وجوب وجوده فإن الشيء إما أن يكون واجب الوجود ، أو ممتنع الوجود ، أو ممكن الوجود . فواجب الوجود (٣) هو الحق المطلق . والممتنع الوجود (٤) هو الباطل المطلق .

والممكن الوجود هو باعتبار نفسه باطل ، وبالنظر إلى موجبه واجب وبالنظر إلى رفع سببه ممتنع فيمتنع ويعدم ، فيكون بالالتفات إلى السبب وعدم السبب ممكناً .

(٢٦ أ) وإذا قيل إنه جواد فعناه أنه يفيد الوجود من غير عوض ولا غرض للمدح والتخلص من مذمة ، ولا لقصد ينتفع به من الغير . وإذا قيل ملك فهو المستغنى الذي يستغنى عن كل شيء ولا يستغنى (٥) عنه شيء في شيء .

فإن الاستغناء يعتبر فيه ثلاثة أمور لا توجد في غيره أصلاً : الأول : أنه لا تتوقف ذاته على الغير ، أنه لا تتوقف صفاته العرية عن الإضافة ، على الغير . (٦) . الثالث : أنه لا يتوقف على الغير صفاته التي تعرض لها

(١) في (ب) صلى الله عليه وسلم .

(٢) سقطت من (ب) .

(٣) في (أ) : (وهو) .

(٤) ب (ممتنع) .

(٥) سقطت من (أ) .

(٦) سقط هنا مقدار سطرين من (أ) .

الإضافات ، لأن ذاته مبدأ للمضافين ، فهي إذا متقدمة عليهم ، وإذا كانت متقدمة عليهم لم يكن سبحانه (١) فقيراً إلى ما به استغنى . فإذا غناه لذاته ، وليس لغيره عنه غنى .

وإذا قيل أول فهو باعتبار ذاته هو الذى لا تركيب فيه وأنه المنزه عن العلل . وبإضافته إلى الموجودات هو الذى يصدر عنه الأشياء ، وعلى الجملة هو الذى (يكون) (٢) * ولا يكون * * لشيء ألبتة ولم يكن آخر* إلا وقد كان قبله . فهو لذلك الشيء أول* وبعد كونه * * * آخراً .

فإذا كل كمال وجمال ووجود يكون لغير الحق فهو للحق الأول أول ومستفاد منه ، ولا يكون لما عداه وإذا قيل : آخر فهو الذى ترجع إليه الموجودات فى سلسلة الترقى فى سلوك السالكين .

وهكذا تطلق عليه جميع الصفات بشرط أن لا تتكرر ذاته ولا تنخرم وحدته . ولا تنطرق إليه علة من العلل . فإذا ثبت أنه واجب الوجود

(٢٦ ب) وأنه واحد وأنه لا علة له ، وأنه تام الوجود ولا يفوت منه كمال .

فإذا عرفت هذا فيعلم أن جميع ما سواه هو فعله ، وأنه صدر عنه لذاته وأنه لا يشترط أن يسبقه عدم وزمان ، لأن الزمان تابع (٤) للحركات وهو من فعلها . نعم يشترط سبق العدم الذاتى لأن كل شيء هالك ومنعدم فى نفسه ،

(١) فى (أ) اختلاف فى العبارة لم يؤثر على المعنى .

(٢) سقطت من (أ) . والمعنى : يكون وجوده

* أى يوجد .

** أى لا يوجد من أجل شيء .

*** أى وجوده أى أن الله سبحانه وتعالى آخر هذه الأشياء بعد أن يوجد لها ، كما كان

أولاً قبل إيجادها .

(٤) فى أ : (مانع) وهو تصحيف .

إنما جوده من الخالق جل وعلا ، والذي لذاته يكون (١) سابقاً على ما يستفيد من غيره .

فإذا كل شيء ما سوى الباري جل وعلا سبقه العدم على الوجود سبقاً ذاتياً لازماً ، والفاعل الذي يفعل لذاته أشرف وأجل من الفاعل الذي يفعل بسبب طارئ وعارض .

وتحقيق هذا هو أن الذات إذا لم يصدر منه شيء ، وبقي على ما كان فلا يصدر عنه إذا . وإذا صدر فلا بد من تغير ذاته بحدوث إرادة وطبع شيء مما يشبه هذا وهذا محال . وهو كامل في ذاته والأفعال صادرة عنه . فيعلم أنه لا يتوقف على زمان واستعلام وقت هو أولى بالفعل فيه وحدوث علة غائية وباعث وحامل . فإن الذات إذا لم يصدر منه شيء وكان يعرض أن يصدر فهو في ٢٧ (أ) فاعليته ممكن الفعل والممكن لا يترجح أحد طرفيه إلا بسبب .

فإذا كل من لم يكن فاعلاً ثم صار فاعلاً ، فإنما يكون بسبب والسبب إما أن يكون خارجاً ، أو داخلياً ، فلا جائز أن يكون خارجاً لأنه لا موجود إلا هو فلا يجوز أن يؤثر فيه غيره . وإن كان داخلياً فيه فيكون تغير أو انفعال في ذاته ، وكيف يكون قابلاً للتغير والانفعال ؟ وهو الذي (يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب *) إشارة إلى (٢) محو الأشخاص النوعية بعضها بعضاً ، وإقامة غيرها مقامها حيث لم يكن دوامها أبداً .

وأم الكتاب هو تعلق عمله على الوجه الكلي العالی عن التغير والزوال .

(١) في (أ) تقديم وتأخير .

(٢) في (ب) (الحق) وهو تصحيف ، وقد صححها المراجع إلى محو أو محق .

فهو الصانع الأزلى ، والقادر الأبدى الذى بيده مفاتيح الغيب ، ومنه عنصر الوجود (١) .

فإذا قد ثبت أن وجوده الأزلى ضرورى . وعلمه ملازم لوجوده . وفعله ملازم لعلمه .

أما بالنسبة إليه ، فعلى سبيل الإيجاد . وأما بالنسبة إلى الموجودات (٢) فعلى سبيل الاعتبار* حتى لا يستدل بتغيرها على تغيره وبعدمها على عدمه فيكون الاستدلال بالكائن الفاسد على الباقي . بل هو الدليل إليه .

(٢٧ ب) أولاً * * ، والمرشد إليه ثانياً : فتعالى الله عما يقول الظالمون والجاهلون علواً كبيراً . فإذن القديم هو الله تعالى بافتقار الموجودات إلى قديم ، كافتقار المعدومات إلى موجد .

وأما التغيرات المحسوسة فى الماديات دون الإبداعات ، أو إذا كان هو الفاعل فيها على الحقيقة حالى الوجود والدوام لزم من تلك الفاعلية على (٣) الحقيقة دوامه أبداً والمحدث كل ما سواه ، لأن وجوده ليس بذاته ، بل بالأول جل وعلا . فالكلام الملخص واللفظ المنقح أن يقال : إن الله تعالى هو القديم فحسب لأنه غير مسبوق بعدم وليس وجوده من غيره ، والحادث كل ما سواه لأنه مسبوق بالعدم ، ووجوده بالأول . عظمت قدرته .

(١) فى (أ) (الوجه) وهو تصحيف .

(٢) فى (أ) (الموجودات) . . .

* أى أن وجودها أمر اعتبارى .

** القول بأن الله دليل على نفسه ، قول بوحدة الوجود أو أنه إرساء وتمهيد للقول بوحدة الوجود حيث أتى ابن عربى بعد ذلك وقال إن الكون هو الله . فالله سبحانه فى قرآنه قد جعل الكون الظاهر بوجوده ربتظامه دليلاً عليه ، فكيف لابن سينا أن يهمل ذلك ويقول إن الله هو الدليل على نفسه ، ولا أرى هذا إلا إغراقاً فى الخيال ، وإبعادا فيه مما يصل بالإنسان إلى الغموض والإبهام والحيرة . ومهمة الدارس للدين أن يبين للناس لا أن يلغز لهم .

(٣) فى (أ) و (ب) : (الفاعلية الحقيقية) . وأرى أن الأدق هو (على الحقيقة) .

القول في صدور الأفعال عنه

فقد عرفت أنه واجب الوجود ، وأنه واحد ، وأنه ليس له صفة زائدة على ذاته تقتضى الأفعال المختلفة ، بل الفعل آثار كمال ذاته . وإذا كان كذلك ففعله الأول واحد لأنه لو صدر عنه اثنان لكان ذلك الصدور عن جهتين مختلفتين ، لأن الاثنينية في الفعل تقتضى الإثنينية في الفاعل .

والذى يفعل لذاته إن كانت ذاته واحدة فلا يصدر منه إلا واحد . وإن (٢٨ أ) كان فيه اثنينية فيكون مركباً ، وقد بينا استحالة ذلك فيلزم أن لا يكون الصادر الأول عنه جسماً ، لأن كل جسم مركب من الهوى والصورة وهما محتاجان إلى علتين ، أو علة ذات اعتبارين ، وإذا كان كذلك استحال صدورهما من الله تعالى ، لما ثبت أنه ليس فيه تركيب أصلاً . فإذا الصادر الأول منه غير جسم . فهو إذا جوهر ، وهذا هو العقل الأول . والشرع الحق قد ورد بتقرير ذلك فإنه قال عليه الصلاة والسلام :

« أول ما خلق الله تعالى العقل » . وقال عليه السلام : « أول ما خلق الله تعالى القلم » * (ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) إشارة إلى دوام الخلق .

(ولن تجد لسنة الله تبديلاً) ، إشارة إلى دوام الأمر (١) .

نعم : الكل صادر عنه في سلسلة الترتيب والوسائط . ونحن إذا قلنا

(١) في (ب) خلط في التعبير أدى إلى فساد المعنى .

* هذا الحديث والذي قبله قد أجمع أهل الخبرة بالحديث على وضعهما . انظر الإحياء للغزالي هامش ص ١٤٢ تخريج الزين العراقي . الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للإمام الشوكاني . بغية المرتاد لابن تيمية . الموضوعات لابن الجوزي .

هذا الفعل صادر منه . السبب والمسبب منه أيضاً فلا نقص في فاعليته . بل الكل صادر منه وبه وإليه . فإذا الموجودات صدرت منه على ترتيب معلوم ووسائط لا يجوز أن يتقدم ما هو متأخر ، ولا يتأخر ما هو متقدم ، وهو المقدم على ترتيب معلوم ووسائط [لا يجوز أن يكون فيها المقدم] (١) والمؤخر معاً .

(٢٨ ب) نعم الموجود الأول الذى صدر عنه أشرف ، وينزل من الأشرف إلى الأدون حتى ينتهى إلى الأخس ، فالأول عقل ثم نفس ثم جرم السماء . ثم مواد العناصر الأربعة * لصورها . فوادها مشتركة وصورها مختلفة . ثم يترقى من الأخس إلى الأشرف فالأشرف حتى ينتهى إلى الدرجة التى توازى درجة العقل . فهو هذا الإبداء والإعياد (٢) مبدىء ومعيد .

القول فى قضائه وقدره (على سبيل الاختصار)

قد عرفت أنه واحد . وأنه لا يتغير ، وعرفت صفاته . فينبغى أن يعرف من جملة ما عرفت أن قضاءه هو علمه المحيط بالمعلومات : مبدعاته ومكوناته ، وأن قدره يوجب الأسباب للمسيبات ، وأنه لا علة له غائية حاملة * ، وأنه إذا وجد السبب وجد المسبب ، وبذكر السبب والمسبب وتفصيلهما يظهر إثبات الحكمة الإلهية فى وجود هذه الموجودات ، وأنها وجدت على أكمل ما يمكن أن يكون ، وأنه لم يتخلف (٣) عنها شىء من كمالها الممكن لها فى نفس الأمر ولو كان فى الإمكان وجود أكمل مما هى

(١) هذه الزيادة رأيتها كى يستقيم الأسلوب ، وهى ليست فى (أ) ، ولا فى (ب) .

(٢) فى (ب) : (الإعادة) وهما بمعنى .

* التى هى الماء ، والهواء ، والنار ، والتراب .

(٣) فى (أ) ، (ب) يختلف وهو تصحيف .

* أى تحمله على فعل الأشياء .

عليه لما وجدت على غيره وأن هذه الشرور الحاصلة في بعض الموجودات وإن كان حصولها على سبيل الوجوب وال لزوم لكنها . (٢٩ أ) غير خالية عن حكمة تامة ، بها يكون قوام العالم ، ولولا تلك الحكمة لما وجدت هذه الشرور ، لأن الخيرات هي مبادئ الشرور * * . فعند استيفاء الخيرات أو انتهائها ربما ظهرت الشرور ، وربما خفيت .

* * لعل هذه الفكرة عند ابن سينا تقوم على ما جاء في الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري ، قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض . قيل وما بركات الأرض ؟ قال : زهرة الدنيا ، فقال له رجل : هل يأتي الخير بالشر فصمت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه ينزل عليه ، ثم جعل يمسح عن جبينه ، فقال : أين السائل ؟ . قال : أنا . قال أبو سعيد لقد حمدناه حين طلع ذلك قال : لا يأتي الخير إلا بالخير ، إن هذا المال خضرة حلوة . وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم ، إلا آكلة الخضرة : أكلت حتى إذا امتدت خاصراتها ، استقبلت الشمس فاجترت وثلثت وبالت ، ثم عادت فأكلت .

وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو . . ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع « صحيح البخارى . باب الرقاق ج ٨ طبعة الشعب .

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد نوه أولاً بأنه قد يأتي الخير بالشر ولكن حينما جاءه الوحي أثناء هذا الحديث بين هذا الأمر من جميع جوانبه فبين أن الأصل أن الخير لا يأتي إلا بالخير إذا استعمل الناس هذا الخير بطريقة طبيعية كما بين الشارع . أما إذا ساروا بالأمر على غير وجهها ، ولم يوجهوا الخير في سبيل الخير ، فإنه قد ينقلب شراً في هذه الحال . ووضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : (إن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً (أى قتلاً نهائياً) أو يلم (أى يقرب من الموت) وذلك في حال سوء الأكل وعدم قناعة الماشية في ذلك ، أو عدم تحريها للطيب من النباتات .

أما إذا نظمت طعامها ، واختارت الجيد منه ، فإنها تستفيد من ذلك ويأتيها هذا الخير ، بالخير ، وهذا هو قوله صلى الله عليه وسلم : (إلا آكله .. الخضرة أكلت ، حتى إذا امتدت خاصراتها ، استقبلت الشمس ، فاجترت وثلثت (أى تبرزت) ، وبالت ، ثم عادت فأكلت .. » .

فهذا هو كما أرى توجيه ابن سينا لوجود الشر من الخير أو مع الخير . والأمر بعد ذلك إن كما هي فكرة ابن سينا مستقبلاً أن الوجود كله خير والأساس في فعل الله هو الخير ، ولكن الشر عارض بفعل الإنسان أو لسوء فعل الإنسان ، وإن كان الأصل في ذلك كله أولاً هو فعل الله وفي ضوء ذلك كما ذهب إلى هذا ابن سينا أن ما يترامى لنا من الشر إنما هو الحقيقة خير .

هذا في الشيء الواحد وفي المضادات (١) أمور شريرة لأجل المنافرات والمنافيات ، ولكنها نادرة جداً بالإضافة إلى الوجود إذ هو خير كله أو الغالب خيره .

وأما الشرور فيجب إضافتها إلى الأشخاص ، والأزمان والطباع (٢) وسيأتي لهذا زيادة شرح وتفصيل ، وأنه متى حصل نقص في آحاد نوع ما ، كان ذلك النقص عائداً إلى ضعف في القابل وقصور [في] المستعد . وإلا فالفيض عام من غير يخل به ولا يمنع منه .

فلا ينبغي أن يتوهم الأعمار وضعفاء العقول على أن هذا التعليل يرجع إلى أفعاله جل وعلا ، لأن أفعاله نتاج صفاته وصفاته لذاته ، والذات موجبة أبداً .

فلو كان لأفعاله علة ، لكان لصفاته علة لأن صفاته مصادر أفعاله . ولو كان كذلك لكانت ذاته مركبة . وقد سبق أنه محال . فإذا كل ما في الوجود فهو كما ينبغي . فعده فضل ، وفضله عدل . ولتعلم أنه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه . نعم ينبغي أن تتلطف في إضافة الخير والشر . (٢٩ ب) إليه ، وهذا إنما يعلم بعد أن نتوسط بتقسيم حاصر (٣) فنقول : المعلوم : لا يخلو إما أن يكون خيراً محضاً أو شراً محضاً أو شراً من وجه وخيراً من وجه . والذي هو خير من وجه وشر من وجه . إما أن يكون خيره غالباً أو يكون الخير والشرفيه متساويين .

فأما الخير المطلق فقد وجد وهو الحق الأول جل وعلا . وكذلك العقول الفعالة ، ومن تقرب منهم . إذ هي أسباب الخيرات والبركات .

(١) في (ب) المصادر .

(٢) في (ب) : (والطباع) .

(٣) في (أ) حاضر .

وأما الشر المطلق ، والغالب والمساوى فلم يوجد لأن احتمال الشر الكثير لأجل أن يحصل خير يسير شر كثير . هذا فى الغالب والمساوى . وأما الشر المطلق فممتنع الوجود أصلا ، فلا تقتضى الحكمة إيجاداه وأما الخير الغالب فيجب فى الحكمة إيجاداه ، ولا يليق بالحدود إهماله لأنه نتيجة العلم السابق بنظام الكل على الوجه التام فهو لازم للوجود . ولأن احتمال الشر اليسير لأجل أن يحصل خير كثير خير كثير (١) .

هذا القسم كالمقابل لما قبله . فإذا أضفت الشر إليه فاحمله على العموم كقوله تعالى : (الله خالق كل شىء) • (والله خلقكم وما تعملون **) وإذا أضفت الخير إليه ، فأضفه على الخصوص كقوله تعالى : (بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) *** (يريد الله (٣٠ أ) بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر . ***) « لأن الحق الأول جل وعلا مفيض الخيرات ، ومنزل البركات ، فالخير مقتضى بالذات وبالقصد الأول والشر مقتضى بالعرض وبالقصد الثانى .

ولست أريد بالقصد هاهنا ذلك القصد والاختيار اللذين هما من موجبات الكمال ، ومخصصات الزمان لأن ذلك فى حق الأول محال لما سبق أن فيضان الخير منه على سبيل اللزوم . وإذا كان كذلك لزم من ذلك اللزوم أن يكون له مقابل هو أثر لذلك الفيض .

ومثاله من المحسوسات الضياء للشمس والظل للشخص وهو الموجود

(١) فى (ب) سقطت هذه الجملة .

* الزمر : ٦٢ .

** الصافات : ٩٦ .

*** آل عمران : ٢٦ .

**** سورة البقرة ١٨٥ .

المطلق ، فنه ما وجوده بغير وسط ، وهذا هو العقل الأول على ذلك الأثر الذى هو المعلول الأول سمي قصداً أولاً وذلك لضرورة الترتيب الحاصل بغير وسط ، وضيق العبارة عن كنه هذا السلوك والترتيب العقليين . وهذا هو الخير المحض الذى لا يشوبه شر ألبتة ، وهو المراد بالقضاء فى لسان الشرع لأنه الحكم الثابت المستمر على سنن واحد .

وعلى هذا الترتيب ما حصل من العقول التالية له أولاً فأول (١) .

فأما ما بعد عن الفيض وقبول الأمر ، فإن الخير فيه غالب من (٣٠ب) حيث دخوله فى الوجود لكن ذلك الخير الغالب لما كثرت مبادئه وتباينت أسبابه لزم من ذلك التباين والكثرة شر ما على سبيل المصادفات (٢) ، وصار للزومه كأنه مقصود (٣) ، ولكنه مقصود ثانياً لتمييز عن الأول ، وهو سائر المعلولات الصادرة عن العقل الأول الحاربية مجرى تفصيل الحملة الواقعة تارة والمرتفعة أخرى وهو المراد بلفظ القدر . قال الله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ، ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسى كثيراً) * . وليكن استقصاء للكائنات .

وعلى الحملة فجميع ما فى الكائنات من الخير لا يتأتى بدون الماء . ولكن علم قطعاً أنه إذا وقع فيه (إنسان غرق) .

وكذلك النار وما فيها من المنافع وإصلاح العالم مع إحراقها ما تقارنه . وعلى هذا جميع ما فى العالم .

(١) سقطت فى (أ) .

(٢) فى (أ) (المصادمات) .

(٣) سقطت من (أ) .

فإذا قد ثبت أن الخير مقصود بالقصد الأول ، وبالذات ، وأن الشر داخل
بالعرض وبالقصد الثاني وإن كان كل بقدر .

والحمد لله واهب العقل وملهم الصواب * * اللهم أفض من نور
هدايتك علينا ، وألق أسرار ولايتك إلينا حتى نرزق جوارك في المقام
الأعلى ، والالتذاذ بمشاهدة جمالك في المقصد الأقصى إنك أهل التقوى
وأهل المغفرة .

برحمتك يا أرحم الراحمين تمت الرسالة العرشية والحمد لله على آلائه ،
والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وهو حسبي ونعم الوكيل .

صحيفة عبد الله بن هبيعة

نبذة عن بردية هيدلبرج

رقم 53-50 EPSR

بقلم الدكتور / م. موراني

جامعة بون - ألمانيا الاتحادية

تحمل البردية المسماة بصحيفة ابن هبيعة من مجموعة المخطوطات العربية في هيدلبرج بألمانيا الاتحادية أهمية كبيرة عند البحث فيما كتب عن الفتنة وأشراط الساعة في القرن الأول والثاني الهجري .

فهذه البردية الفريدة لم يشر إليها في مجال الاستشراق من قبل - إلى حد علمي - ، إلا أن هناك ملحوظة صغيرة من س. ه. بيكر (١) C.H. BECKER الذي يعد أول من ذكر هذه النسخة الثمينة قائلا : بأنها مجموعة للأحاديث عن آخر الساعة ويوم القيامة المنسوبة إلى المحدث والفقيه المصري عبدالله بن هبيعة (توفي ١٧٤ هـ) .

إن هذه الملحوظة تحتاج إلى تعديل ، ومن ثم نرى أنه لزام علينا أن ننظر في بعض الملامح الرئيسية للبردية التي لها أهمية خاصة عند بحث كتابة الحديث في صدر الإسلام وعند دراسة نشأة كتابة الأحاديث في هذا الموضوع في أواخر القرن الأول الهجري التي للأسف لم نعرف عنها الكثير .

وهنا لا تقع بين أيدينا مجموعة الروايات عن عبد الله بن هبيعة فحسب بل إنها تتضمن أحاديث انتشرت بين دوائر رواة الحديث المصريين المعروفين في ذلك الوقت على الأكثر : منهم عبدالله بن وهب الفقيه المالكي وتلميذ

الإمام مالك بن أنس والفقير الليث بن سعد وهو أيضاً من الفقهاء المشهورين في ذلك العصر ، ، الذي يروى عنه ابن وهب .

ويغلب على مضمون المخطوطة روايات تتعلق بآخر الساعة ويوم القيامة وعلاماتها من ناحية ، وبأحاديث في الفتنة التي وقعت في الأمة الإسلامية في القرن الأول الهجري أي بأحداث تاريخية مثل مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وحصار ابن الزبير بمكة ووقعة الجمل من ناحية أخرى . وعلى هذا النحو توجد هناك بعض الأحاديث في غير ما سبق ذكره مثل مسائل الوضوء والمسح على الخفين والصلاة .

والذي جمع هذه الأحاديث هو العالم المصري عثمان بن صالح بن صفوان أبو يحيى السهمي (١٤٤ - ٢١٩ هـ) والذي ذكر اسمه في الصفحة الأولى من البردية .

وكان المحدث الشهير أبو حاتم يمتلك كتاباً لعثمان بن صالح وقد قال في ذلك : ضاع لي كتاب عن ابن لهيعة عن أبي قبيل ثم دلت على صاحب ناطف فاشتريت منه بكذا فلساً أو قال كذا حبة (٢) .

ومن المحتمل بل من اليقين تماماً أن هذا الكتاب الذي أشار إليه أبو حاتم هو من نفس المجموعة التي بين يدينا في بردية هيدلبرج أو جزء منها ، وقد تكون نسخة أخرى منها لأنها كما ذكر أبو حاتم تحتوي على عدد كبير من الروايات بهذا الإسناد أي عن ابن لهيعة عن أبي قبيل . ومن الجدير بالذكر أن هذه الأحاديث في الفتنة وآخر الساعة تعتبر من أقدم الروايات في هذا الموضوع على الإطلاق .

وقد كان أبو قبيل حيي بن هانيء المصري غلاماً عند مقتل عثمان سنة ٣٥ هـ وعاش في اليمن ، وتوفي سنة ١٢٨ هـ .

وفيه قال يعقوب بن شيبة الدوسي عند ابن حجر العسقلاني :

« كان له علم بالملاحم والفتن » (٣) .

وهناك بعض روايات عجيبة وغريبة تثبت أن أبا قبيل كان يعتبر عالماً بالمستقبل وبما سيحدث في الأمة من البلاء ، وقد روى ياسين بن عبد الأحد عن أبيه الحكاية التالية :

لما دخل عبدالله بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه فقلت حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل عن سبيع قال :

يا أهل مصر كيف بكم إذا كان في بلدكم فتنة فوليكم فيها الأعرج ثم الأصفر ثم الأمرد ثم يأتي رجل من ولد الحسين ولا يدفع ولا يمنع تبلغ رواياته البحر الأخضر يملأها عدلا .

إلى هنا كانت الرواية المنسوبة إلى ابن لهيعة عن أبي قبيل عن سبيع (وهو تابع بن عامر الحميري ، ويعتبر (سبيع) تحريفاً في موضعه) . ووبروى ياسين بن عبد الأحد بعد ذلك تفسيراً لهذه الرواية عن أبيه قائلا :

قلت : كان ذلك ! كانت الفتنة فوليها السرى وهو الأعرج والأصفر ابنه أبو نصر والأمرد عبيد بن السرى ، وأنت عبدالله بن طاهر بن الحسين (٤) .

هذا وفي كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم روايات كثيرة عن أبي قبيل مما تدل على أنه لم يكن مهتماً بالتاريخ فقط بل أنه كان أولاً وقبل كل شيء راوياً للحديث . إن كان من الممكن أو من المقبول في ذلك الوقت التفريق بين إخباري أى مؤرخ وراو أى محدث . وتدل الروايات الموجودة في كل من البردية والجامع لعبد الله بن وهب المصرى والتي تنسب إلى أبي قبيل على أن نشاطه العلمى كان في مجال الحديث ، فما لدينا ليس له مضمون تاريخى على الأغلب ، أما رواياته عند ابن عبد الحكم فيغلب عليها الطابع الأسطورى إذ أن مضمون البردية بهيدلبرج من ناحية والروايات

الموجودة في كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي (٥) من ناحية أخرى تبرهن على حقيقة قول يعقوب بن شيبة فيه بأنه كان له علم بالملاحم والفتن .

أما مصدر أبي قبيل في هذه البردية وهو عبدالله بن عمرو بن العاص على الأغلب والذي نقل عنه المصريون ما يقرب من مئة حديث ليست عند غيرهم (٦) . وبعض هذه الأحاديث في آخر الساعة ويوم القيامة وعلامتهما قد وصلت إلينا عن طريق عبدالله بن لهيعة والليث بن سعد ومعاوية بن صالح ويحيى بن أيوب (٧) ومن الأرجح أن تكون تلك الأحاديث مدونة في صحيفة لعبد الله بن عمرو المسماة (الصادقة) وهي إحدى المدونات القديمة المنسوبة إليه . وكان مجاهد (ت ١٠٤ هـ) المكي الفقيه والمفسر الشهير قد عرف هذه الصحيفة (الصادقة) جيداً كما نخبرنا بهذا في الطبقات لابن سعد (ج ٧/٢ ، ص ١٨٩) .

إن الأحاديث المتعلقة بموضوع الفتنة ويوم القيامة في روايته والتي نقلها عنه أبو قبيل في هذه البردية تعتبر أقدم الروايات الموجودة في رواية علماء مصر المذكورين أعلاه .

أما المصدر الثاني لعبد الله بن لهيعة في البردية وهو بكر بن سوادة المصري وهو من معاصري أبي قبيل (توفي في إفريقية سنة ١٢٨ هـ) .

والأحاديث التي ترجع إليه تتعلق بالعبادات فبعضها محفوظ في كتاب الفتوح لابن عبد الحكم . وفي هذه الروايات ما ينص على أنه قد جمع أحاديث وقارن بعضها ببعض نظراً إلى إسنادها ومتمنها في آن واحد ، وقد نقل حديثاً منسوباً إلى الصحابي مستورد بن شداد رضى الله عنه بإسنادين مختلفين وبنص مختلف أيضاً . وهذه الطريقة في روايته تدل على مجموعة المعلومات المتوفرة لديه في علم الرواية في أواخر القرن الأول الهجري كما تدل أيضاً على فهم علمي لهذا الفن الخليل (٨) .

فقد نقل عبدالله بن لهيعة كثيراً من أحاديث أبي قبيل وبكر بن سوادة

كما رأينا . ومن تاريخ وفاتهما نستنتج أنهما ربما شاركا بعد السنة الثمانين للهجرة تقريباً في كتابة الحديث وتدوينه . وقد قام ابن لهيعة - كما هو واضح من الأسانيد في البردية - بدور الجامع لبعض هذه الأحاديث . فيرجع تاريخ الروايات التي ذكرها في البردية إلى القرن الأول الهجري من حيث تسجيلها وتدوينها .

وعلى هذا الأساس فإننا نستطيع أن نتحدث عن كتابة وتصنيف الأحاديث المتعلقة بالفتنة وآخر الساعة في هذا العصر السابق لعصر ابن لهيعة (من سنة ٩٧ إلى سنة ١٧٤ هـ) . ويثبت قولنا هذا ما نجده في كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي حيث قال ابن لهيعة تعليقاً على حديث في أشرطة الساعة :

« أعطاني يزيد بن أبي حبيب كتاباً فيه عن عبد الرحمن بن معاوية سمع عبد الله بن عمر يقول إن الشمس والقمر يجتمعان في السماء في منزلة بالعشي فيكون النهار سرمداً عشرين سنة » (٩) .

وهذا يدل على أن هذا الحديث لم يرو شفويّاً عن يزيد بن أبي حبيب بل أنه كان مسجلاً في كتاب ما غير معروف كان لديه .

ومن المحتمل أنه كانت هناك أحاديث أخرى مدونة في هذا الكتاب يرجع تاريخ تدوينها إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري على الأقل . وكثير من المصادر القديمة تشهد بأن يزيد بن أبي حبيب (ت ١٢٨ هـ) قد غنى إلى حد كبير بالتاريخ المصري من ناحية وبالحروب التي وقعت في صدر الإسلام بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه من ناحية أخرى .

وفي وقتنا الحالي تعد بردية هيدلبرج كأقدم مرجع بين يدينا يدل على أن عبدالله بن وهب - من أشهر فقهاء المالكيين ومن أصحاب مالك بن أنس - قد غنى أيضاً بروايات في الفتنة والحروب التي وقعت بين طوائف من الناس في القرن الأول للهجرة .

وقد نقل ابن وهب وبعض هذه الأحاديث عن حميد بن هلال الخولاني
(ت ١٤٢ هـ) الذي كان يتخذ مصدرأ في أحاديث متعلقة بمسائل فقهية (١٠)

وهناك مصدر آخر لابن وهب في البردية وهو معاوية بن صالح الحمصي
الذي غادر خص إلى أفريقيا في حوالى ١٢٥ هـ .

وكتب عنه المصريون والمدينيون أثناء الحج في عام ١٥٤ هـ أحاديث
كثيرة في هذا الفن لأنه روى أحاديث لم تكن معروفة عند غيره في ذلك
الوقت . وكان في كتبه عدد كبير من هذه الغرائب (١١) .

وثمة مرجع مباشر آخر لابن وهب في البردية وهو يحيى بن أيوب
الغافقي (ت ١٦٨ هـ) ، وتعود إليه رواية عن طريق سعيد بن أبي مریم
المصرى (ت ٢٢٤ هـ) (١٢) في المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى (١٣)
وهذه الرواية ليحيى بن أيوب عن عمارة بن غزوة (ت ١٤٠ هـ) (١٤)
تتعلق بحصار عبد الله بن الزبير ومقتله بمكة (١٥) وتعد من أقدم الروايات
في هذا الحادث الذى يسمى أحياناً بالفتنة الثانية بعد مقتل عثمان بن عفان
رضى الله عنه .

هذا ويذكر في قائمة المؤلفات لابن وهب كتاب يسمى بكتاب
« الأهوال » الذى يشتمل على روايات عن عقاب يوم القيامة وعن علامات
الساعة . وكثير من هذه الروايات والأحاديث لابن وهب محفوظة في
المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى ، وقد ترجع إلى كتاب الأهوال
لابن وهب . وقد خصص الحاكم النيسابورى في كتابه هذا فصلاً كاملاً
عن هذه الأحاديث « والمسماة بكتاب الأهوال » ولم يفرق البخارى ومسلم
من حيث الموضوع بين « الفتن » و « الأهوال » فعند تقسيم هذا الفصل نجد أنهما
قد رويَا في البداية أخباراً عن الحروب التى وقعت في الإسلام في القرن
الأول الهجرى وعن الاعتزال عنها ، تتلوها بعد ذلك أحاديث في آخر الساعة
وعلاماتها ويوم القيامة . وكلا من الموضوعين يندرج تحت هذا العنوان

« كتاب الفتن » . ويتبع الحاكم النيسابورى نفسه هذه الصياغة فى التقسيم
سلفه محمد بن اسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ) ويفرق بين الفتن والأهوال (١٧).

ونحن نستطيع مراجعة هذه الأحاديث التى قد ترجع إلى كتاب الأهوال
لابن وهب ليس فى البردية فحسب بل عند الحاكم النيسابورى أيضاً .
ويروى ابن وهب أحاديثه فى هذا الموضوع بالإسناد التالى :

عمرو بن الحارث ، دراج ، أبو الهيثم ، أبو سعيد الخدرى (المستدرک ج ٤
ص ٥٩٣ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٩) .

وترجع تلك الأحاديث لابن وهب إلى رواية محمد بن يعقوب الأصم
(ت ٣٤٦ هـ) عن يجر بن نصر (ت ٢٦٧ هـ) عن ابن وهب ، ومن هذه
الرواية بالذات توجد هناك نسختان أخريان غير كاملتين من الجامع لابن وهب
وموجودتان فى المكتبة الظاهرية وفى مكتبة دبلن فى إيرلندا
(Chester Beaty no 3497)

ونظراً إلى هذا فمن المحتمل أن الأحاديث الموجودة فى كتاب الأهوال
عند الحاكم النيسابورى بالإسناد المذكور قد تنسب إلى كتاب الجامع لابن وهب .

ويعتبر كتاب الأهوال لابن وهب عند القدماء جزءاً من الجامع (١٨) .
هذا وقد أخبر الذهبى أيضاً أن ابن وهب قد امتلك نسخة عن دراج برواية
عمرو بن الحارث (١٩) ، وهذه المجموعة قد تحوى الروايات التى أخرجها
فى كتابه « الأهوال » .

وقد كان دراج بن سماعيل أبو سميح المصرى (ت ١٢٦ هـ) من القصاص
المصريين وكانت أحاديثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى معروفة فى
مصر فى عصره ولكن أحاديثه هذه لم تكن مقبولة لدى المحدثين : وفيه
يقول أبوداود : أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبى الهيثم عن أبى سعيد (٢٠) .
وقد رأى ابن حنبل أن أحاديث دراج كانت مناكير (٢١) ، ورغم

هذا يروى في مسند عبدالله بن عمرو بعض الأحاديث التي ترجع إلى دراج ابن سمعان في رواية عبدالله بن لهيعة (٢٢) .

أما أبو هيثم المصرى فيقول فيه المؤرخ والمحدث المصرى ابن يونس :
إن أحاديثه كانت « معلولة » ، فعدد كبير من هذه الأحاديث بهذا الإسناد المذكور طويلة على صورة غير عادية في كتاب الأهوال عند الحاكم النيسابورى ، ومما لا شك فيه أن ابن يونس يقصد هذه الروايات الطويلة حين وصفها بأنها معلولة ! (٢٣) .

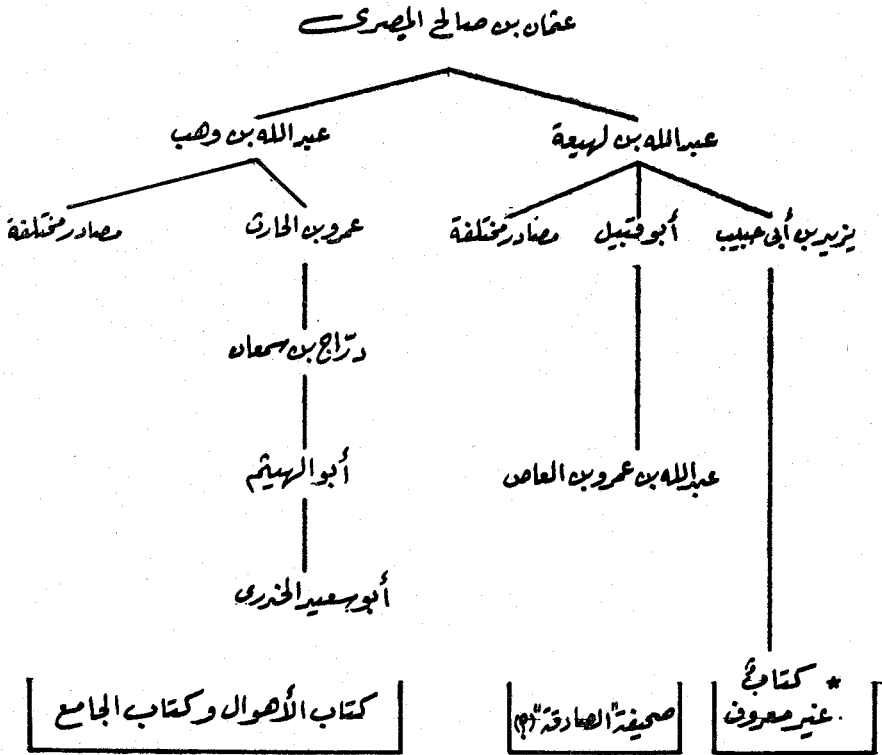
ونظراً إلى معرفتنا الحالية عن المصادر القديمة لا نستطيع الإجابة على السؤال إذا كانت الأحاديث التي يرويها عبد الله بن وهب في الفتن في البردية من ناحية وفي كتاب الفتن لنعيم بن حماد من ناحية أخرى قد نقلها في الأصل منفصلة عن أحاديث في آخر الساعة ويوم القيامة أم لا ؟

فقد لوحظ هذا التقسيم بعد عصر الشيخين ، البخارى ومسلم ، لأول مرة - على حد معرفتى بالمصادر . وبالرغم من أن كتاب الأهوال لابن وهب قد اعتبر جزءاً من جامعه فقد رواه بعض الرواة في إفريقية منفصلاً عنه كجزء مستقل (٢٤) .

وتعد مجموعة الأحاديث هذه التي بين يدينا في بردية هيدلبرج من أقدم المراجع لاهتمام القدماء بعرض الفتن في صدر الإسلام في أحاديث مرفوعة وفي أحاديث الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . إن أقدم طبقة للروايات في الفتنة يمكن إثباتها عن طريق بقايا الأحاديث المروية في البردية عن ابن لهيعة عن أبي قبيل من ناحية ، وعن بكر بن سواده وزيد بن أبي حبيب من ناحية أخرى . وهؤلاء الثلاثة المذكورون في صحيفة ابن لهيعة يروون أحاديثهم عن مصادر شتى ترجع إلى القرن الأول الهجرى .

إلى هنا نكتفى بهذه النبذة القصيرة عن بعض المصادر المذكورة في صحيفة ابن لهيعة في رواية عثمان بن صالح ، وإلى حد معلوماتى ستشعر هذه البردية

في المستقبل القريب على يد المستشرق الحليل الدكتور / ج. خوري في هيدلبرج وهو كـمـحـقـق سوف يعلق على هذه الصحيفة عند نشرها وسيفيدنا بمعلومات جديدة مثمرة عنها كما تعودنا عنه في تحقيقاته السابقة (٢٥).



المراجع

C.H.BECKER: Papyri schott —Reinhardt. Bd. I. S. 9. (١)

(Heidelberg 1906)

تاريخ التراث العربي لفؤاد سزجين ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ، نقله إلى العربية الدكتور فهمى أبو الفضل . القاهرة ١٩٧١ . =

F.SEZGIN : Geschichte des arabischen Schrifttums. Bd. I. S. 94
(Leiden 1967)

(٢) الحرح والتعديل للرازي ، ج ٣ ، ص ١٥٤ ، رقم ٨٤٦ .

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، ج ٣ ، ص ٧٣ . تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ، ص ٢٠٩ . راجع أيضاً فؤاد سزجين ، ج ١ ص ٣٤١ (الأصل) .

(٤) انظر في كتاب الولاية وكتاب القضاة لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي ، ص ١٨٢ ، بتحقيق رفن كست ، ليدن ١٩٠٨ . راجع أيضاً كتاب الخطط للمقرئزي ، ج ١ ص ١٨٠ (بولاق) .

(٥) فؤاد سزجين ، ج ١ ، ص (باللغة العربية) .

(٦) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ، ص ٢٥٤ بتحقيق توري

CH. TORREY

(٧) انظر الأحاديث في المسند لابن حنبل ، ج ١٠ رقم ٦٥٦٣ ، ٦٥٩٤ ، ٦٦٤٥ ، ٦٦٤٦ ، ج ١٢ رقم ٧٠٥٠ ، فتوح مصر ، ص ٣٣ ، ٢٥٦ ، كتاب الفتن لنعيم بن حماد ، ورقة ١٨٨ ب (نسخة في المتحف البريطاني ، رقم ٩٤٤٩) .

(٨) فتوح مصر ، ص ٢٦١ ، فراجع روايات بكر بن سوادة في فتوح مصر ، ص ٢٦٠ و ٣١٧ : أما الرواية الثانية فهي محفوظة في البردية أيضاً : ورقة ٥١ ب .

(٩) كتاب الفن لنعيم بن حماد ، ورقة ١٨٤ ا .

(١٠) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ٣ ، ص ٥٠

(١١) انظر معنى « غريب » على هذا النحو : علوم الحديث ومصطلحه لصبحي صالح ، ص ٢٢٦ راجع أيضاً : تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ، ص ٢١١ .

(١٢) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ٤ ، ص ١٧ .

(١٣) الجزء الرابع ، ص ٥٢٥ .

(١٤) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ٧ ، ص ٤٢٢ .

(١٥) ورقة ٥١ أ في البردية

(١٧) راجع ملحوظة المؤلف في المستدرک ، ج ٤ ، ص ٥٥٨ .

(١٨) تذكرة الحفاظ للذهبي ، ص ٣٠٥ ، شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

(١٩) ميزان الاعتدال ، ج ١ ، ص ٣٢٧ (طبعة بولاق) .

(٢٠) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ، ص ٢٠٩/٢٠٨ .

(٢١) كتاب الضعفاء والمتروكين لمحمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (ت ٣٢٢ هـ) ورقة ٦٧ أ ، ظاهرية ، حديث ٣٦٢ .

(٢٢) راجع مثلاً المسند لابن حنبل ، ج ١٠ ، رقم ٦٦٣٤ ، ٦٦٣٥ ، ٦٦٣٦ (تحقيق أحمد محمد شاكر) .

(٢٣) وأحياناً يسمى الإسناد «معلولا» إذا روى الحديث متصلاً وغم أنه منقطع أصلاً.

(٢٤) انظر طبقات علماء أفريقيا لأبي العرب التميمي ، ص ١٩٦ .

(٢٥) وله ملحوظات عن هذه البردية في Arabica ج ١٩٧٥/٢٢ ص ١٢ - ١٤ .

ص ١٢ - ١٤ وفي Heidelberg Jahrbucher ج ١٩٧٥/١٩ ص ٣٦ - ٣٩

مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر

(اليقوي)

تحقيق

محمد كمال الدين عز الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله مداول الأيام بين الناس ، مالك الكون بقدرته ، ومديره بحكمته ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك من يشاء ، وكل شيء عنده بمقدار .

أما بعد ، فهذا كتاب « مشاكلة الناس لزمانهم ، وما يغلب عليهم في كل عصر » يخرج لأول مرة من خبايا المخطوطات ، وكما كان لعنوانه قبل الحصول عليه من تشويق إليه ، أقدم بين يديه هذا الموجز للتعريف بصاحبه : العالم المؤرخ الجغرافي أحمد بن أبي يعقوب ، مجملا ما قال العلماء فيه ، مستمداً من الله السداد فيما قصدت ، وهو جل علاه ولي الفضل ومانح التوفيق .

المؤلف :

ترجم له ياقوت في معجم الأدباء (١) بأقل من ثمانية أسطر قال :

« أحمد بن أبي يعقوب إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح الأخباري العباسي . ذكره أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري الكندي المؤرخ في تاريخ له ، ابتدأه بسنة ثمانين ومائتين قال : إن أحمد بن إسحق ابن واضح مولى بنى هاشم ، توفي سنة أربع وثمانين ومائتين . وله تصانيف كثيرة ، منها : كتاب التاريخ كبير - كتاب أسماء البلدان مجلد - وكتاب آخر في أخبار الأمم السالفة صغير - كتاب مشاكلة الناس لزمانهم . . » .

(١) معجم الأدباء : ٥ : ١٥٣ - ط دار المأمون .

كما ترجم له الزركلي في الأعلام (١) مخالفاً في تنسيق الأسماء فقال :
« أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح يعقوبى .
مؤرخ جغرافى كثير الأسفار ، من أهل بغداد ، كان جده من موالى المنصور
العباسى . رحل إلى المغرب ، وأقام فى أرمينية ، ودخل الهند ، وزار
الأقطار العربية ، وصنف كتباً جيدة منها : (تاريخ يعقوبى) انتهى به
إلى خلافة المعتمد على الله العباسى . وكتاب (البلدان) و(أخبار الأمم
السالفة) صغير ، و(مشاكلة الناس لزمانهم) .

واختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فقال ياقوت : سنة (٢٨٤) هـ
ونقل غيره (٢٨٢) وقيل : (٢٧٨) أو بعدها ، ورجحت أخيراً رواية
ناشر الطبعة الثانية من التاريخ ، إذ وجد فى كتاب (البلدان) - الصفحة
(١٣١) طبعة النجف أبياتاً لليعقوبى نظمها ليلة عيد الفطر سنة (٢٩٢ هـ) .
ومراجع ترجمة الزركلى هى :

معجم الأدباء - ٥ : ١٥٣ ط دار المأمون ، ومقدمة تاريخ يعقوبى -
طبعة النجف ، وفتح العرب للمغرب ص ٣٠٤ ، معجم المطبوعات ١٩٤٨ ،
والعرب والروم لفازيليف ص ٢٣٥ .

أما بروكلمان (٢) ، فتفيدنا ترجمته للمؤلف إلى جوانب من حياته
تعنى الباحث ، منها : نشأته على التشيع ، التى لها أثرها فى اتجاهاته « وكان
واضح يتشيع سراً على الرغم من صلته الوثيقة بالعباسيين ومناصبه الرفيعة ...
وقد توارثت أسرته التشيع ، فاعترف أحمد بولائه للموسوية ، وهم فرقة من
الإمامية المعتدلين . » .

ومنها : ذكر بعض أعماله وكتبه : « قضى أحمد شبابه فى أرمينية ، وفى
خدمة الدولة الطاهرية بخراسان ، وقد مجد أعمالها فى كتاب خاص » .

(١) الأعلام : ١ : ٩٠ - الطبعة الثالثة .

(٢) تاريخ الأدب العربى : ٤ : ٢٣٦ - المعارف ١٩٧٥ .

كما يرشد إلى التوقيت الذى ظهر فيه بعض كتب المؤلف :

« ويبدو أنه ألف أيضاً فى ذلك الوقت كتابه عن تاريخ العالم ، الذى وصل فيه إلى سنة ٨٧٢/٢٥٩ - وبعد سقوط الدولة الطاهرية ذهب إلى مصر ، وفيها كتب كتابه فى الجغرافيا سنة ٨٩١/٢٧٨ - ثم توفى سنة ٨٩٧/٢٨٤ . »

وبروكلمان لا يتردد - هكذا - فى تحديد تاريخ وفاة المؤلف ، ولا فى حصر نهاية كتابه عن تاريخ العالم بسنة ٢٥٩ هـ من خلافة المعتمد على الله ، على حين امتدت حياته إلى سنة ٢٨٤ هـ . وليس هذا الحصر بعيداً ، إذا نظرنا إلى اشتغال ابن يعقوب فى هذه المدة بتأليف كتاب (البلدان) غير أن ما حملنا على هذه الالتفاتة ، هو تذييل كاتب تاريخه بقوله المشكك بعد تمام النسخ .

« تم الموجود من تاريخ ابن واضح الكاتب العباسى رحمه الله تعالى وعفا عنه ، والحمد لله رب العالمين ... » (١) .

وكان تمام نسخه هذا سنة ١٠٩٦ هـ .

وقد نظرت فى كتاب (البلدان) طبعة (ابريل ١٨٩١) والمطبوع مع المجلد السابع من (الأعلام النفيسة) لابن رسته ، فوجدت إحدى الملحقات المنقولة عن خطط المقرئى ، وهى تتضمن بيتاً واحداً من (الخفيف) فى خبر سيق عن يعقوبى ، وبمطابقته للمصدر ، وجدته لا يختلف عما أثبتته الناشر إلا فى الإسم العلم للمؤلف ، فقد سجله المقرئى - إن لم يكن خطأ الناشرين ، « محمد بن أبى يعقوب » فصححه الناشر فى الملحقة ، وقد حاولت أن أجد فى كتب التراجم لهذا القرن اسم (محمد بن يعقوب) فلم أعر على ذلك . وإليك الخبر مع تصحيح النسبة :

« وحدث أحمد بن أبي يعقوب الكاتب قال : لما كانت ليلة عيد
القطر سنة ٢٩٢ - تذكرت ما كان فيه آل طولون ، وملونات البنود
والأعلام وشهرة الثياب ، وكثرة الكراع ، وأصوات الأبواق والطبول ،
فاعترتني كذلك فكرة ، ونمت في ليلتي فسمعت هاتفاً يقول :

ذهب الملك ، والتملك والزينة لما مضى بنوطولون . كما رأيت سبعة أبيات
أخرى من (الكامل) قد نسبت إليه في هذه الملحقات من (البلدان) وهي
في الجزء نفسه من (الخطط) ص ٦٠٧ - وهي :

إن كنت تسأل عن جلاله ملكهم	فارتع وعج بمراتع الميدان
وانظر إلى تلك القصور وما حوت	وامرح بزهرة ذلك البستان
وإن اعتبرت ففيه أيضاً عبرة	تنبيك كيف تصرف العصران
يا قتل هرون اجتثت أصولهم	وأشبت رأس أميرهم شيان
لم يغن عنهم بأس قيس إن غدا	في جحفل لجب ولا غسان
وعدية البطل الكمي وخزرج	لم ينصرا بأخيها عدنان
زفت إلى آل النبوة والهدى	وتمزقت عن شيعه الشيطان (١)

وهرون المذكور هو ابن خمارويه ، وشيان وعدى هما عماء اللذان
قتلاه ، كما يحكى ابن تغرى بردى (٢) ، وبقتله تبددت الدولة الطولونية
على يد محمد بن سليمان ، الذي جمع آل طولون وكانوا سبعة عشر فقتلهم
سنة ٢٩٢ هـ (٣) ، وبشر الخليفة المكتفي بنجر الفتح .

كما نرى في كتاب (الولاة وكتاب القضاة) لأبي عمر محمد بن يوسف

(١) البلدان : ٣٠٢ - وخطط المقرزى : ١ : ٦٠٧ .

(٢) النجوم الزاهرة : ٣ : ٩٨ .

(٣) البداية والنهاية : ١١ : ٩٩ - المعارف - بيروت .

الكندى المصرى (١) ، زيادة أبيات أخرى من (الخفيف) لليعقوبى فى الموضوع ذاته وهى :

نقمة أرسلت من الشرق تهوى فأناخت على بنى طولونا
كيف يرجى صلاح هذى البرايا وابن أبا يسوس دنيا ودينا
بأبى خبة ورأى غريب كان يمضى شرائع الحكم فينا
ما رأينا من آل طولون إلا ساءه (٢) فى بطالة مرهونا

وزيادة أخرى من شعره فى الموضوع من (الكامل) (٣) .

الدار بعد تفرق الأظغان مسرورة بتفرق السكان
لم تبد من جون (٤) على أربابها إذ فى الترحل راحة الحيران
رحلوا . ! فلا نزلوا بروض مزهر وعداهم سبل الغمام الدانى
حرموا صبيب المزن أنى يمموا وتقسمتهم سطوة الرحمن
ما كان أثقلهم على كتف العلى وأكف أيديهم عن الإحسان
ما كان أرذل دولة سعدوا بها وأحقها بتهدم الأركان
ما عاشروا نعم الإله بشكرها فأثابهم بمثوبة الكفران
ماذا أريحت مصر منه وما إلى أرض العراق مضى من البهتان ؟

وليس أمامنا من الأدلة ما يرجح نسبة هذه النصوص إلى أحمد بن يعقوب على وجه التصديق أو التكذيب ، حتى نرجح أن حياته قد امتدت لما بعد انتهاء الدولة الطولونية ، التى انتهت سنة ٢٩٢ هـ ، ولكنها تفيد من وجه

(١) الولاة وكتاب القضاة : ٢٥١ - بيروت ١٩٠٨ .

(٢) لعلها (تأتها) .

(٣) نفس المرجع : ٢٥٢ .

(٤) لعلها (من حزن) كما أشار المحقق .

آخر أن المؤلف كان من شعراء عصره ، وأن هذه هي نظرتة النقدية لسياسة الدولة الطولونية ، التي رثاها غيره ناثراً في إثرها الدموع والزفرات !

مكانة يعقوبى :

يعده بروكلمان (١) جغرافياً أكثر مما يعده مؤرخاً ، لأنه سلك ترجمته في عداد الجغرافيين ، كما نرى أنه لم يشر إلى كتاب (مشاكل الناس لزمانهم) الذى أشار إليه غيره على ما رأيت آنفاً ، ولكنه وقف مع بيان المخطوط والمنشور من الكتابين : التاريخ والبلدان ، وضمن حديثه فكرة صغيرة عن كل منهما ، فقال عن الثانى :

« ويعتمد الكتاب على مصادر أدبية ، ومعلومات ذكرها الرحالون ، ويعنى إلى جانب الطبوغرافيا ووصف المدن الكبيرة بالجغرافيا الاقتصادية وإحصاءات الجباية » .

وعن الثانى يقول :

« فالجزء الأول - وقد ضاعت مقدمته - يبدأ فى منتصف قصة آدم ، ويليه تاريخ آباء بنى إسرائيل ، وبخاصة بعد مغارة الكنز ، وتاريخ المسيح والرسل ، وملوك السريانيين ، وآشور ، وبابل ، والهند ، واليونان ، والروم وفارس ، وشعوب الشمال حتى الترك ، وملوك الصين ، ومصر ، والبربر والحبشة ، والبجة ، والزنج ، وأخيراً تاريخ عرب الجاهلية .

أما الجزء الثانى - وهو ضعف الأول تقريباً - فقد خصص لتاريخ الإسلام ، ولا يغض من قيمته ما فيه من ميل إلى الشيعة ، ولكن لا تذكر فيه المصادر ، وهو يقتصر فيما يتعلق بالتاريخ المعاصر على ملاحظات لا تنفع غلة ، وكثيراً ما يتضخم فيه العرض التاريخى بالخطب والرسائل ، ولكنه يشتمل على كثير من المعلومات القيمة ، المستقاة من مصادر قديمة جيدة .

ويذكر يعقوبى بصدد كل حكم . الوضع الذى كانت عليه الأفلاك عند بدايته .

والمصدران اللذان اعتمد عليهما بروكلمان - عدا ثقافته الخاصة بدراسة المؤلف - هما : الإرشاد لياقوت : ٢ : ١٥٦ - ودائرة المعارف الإسلامية : ٤ : ١٢٤٧ .

روزنثال :

« علم التاريخ عند المسلمين » :

ومن زاوية التقدير العلمى لابن يعقوب ، نرى لمعا منتشرة للعلامة (فرانز روزنثال) فى كتابه القيم (علم التاريخ عند المسلمين) إذ يقول عن دقة يعقوبى :

« فأدق الأخبار عن تاريخ اليهود والنصارى (فيما فيهم الرومان) توجد - فيما عدا الكتب الأندلسية والغربية - عند يعقوبى (١) .

وفى عد كتابه فى التاريخ أحد الكتب المهمة فى تاريخ العالم يقول :
« نصادف فى أوائل القرن العاشر ثلاثة أنواع من تواريخ العالم ، كانت مسبوقة بكتاب (الأخبار الطوال) لأبى حنيفة الدينورى . . . » .

« إن أول الأنواع الثلاثة من التواريخ العالمية تاريخ يعقوبى ، الذى فقدت من مقدمته عدة صفحات تشمل قصة الخليفة (٢) . » .

وفى هذا المقام يذكر قيام دراسة يعقوبى على أساس التعاقب الزمنى للشخصيات ، وإحلال التاريخ الثقافى محل التاريخ السياسى ، مع الرجوع إلى المصادر الأصلية بقدر توفرها لديه .

(١) علم التاريخ عند المسلمين : ١٣٠ .

(٢) نفسه : ١٨٤ .

« أما عن تاريخ العهد القديم والجديد ، فإنه لم يكتب بالأخبار الإسلامية ، بل رجع إلى الكتابات الأصلية ، مستعيناً ببعض الرواة ، وبذلك وصل إلى مستوى عال من الدقة . . . » .

وتعدد مصادر يعقوبى يدفع روزنتال ليقول :

« وقد استمر يذكر قائمة للمراجع ، تكشف عن المصادر التي استخدمها حيث كانت لديه مكتبة تاريخية غنية ، لم يبق منها إلا النزر اليسير (١) . » .

وأما عن سبق يعقوبى للزمن والعلوم المستحدثة فيقول :

« فعندما كتب يعقوبى في القرن العاشر (يعنى الميلادى) كتاباً عنوانه «مشكلة الناس لزمانهم» فإن المرء يستنتج منه أن فكرته عن التاريخ جاءت قريبة من الأفكار الحديثة عن التطور ، غير أنها ظلت سطحية ، ولم تنفذ إلى أعماق الفكرة الحديثة » (٢) .

ويتمدح روزنتال ابن يعقوب بعدم التوسع في سرد الأشعار التي غصت بها كتب التاريخ الإسلامية ، كما وصف منهجه بالجودة في اتخاذ عهود حكم الحكام مبدأً فريداً في الترتيب (٣) ، كما لم ينس الموازنة بينه وبين المسعودى ، في الجمع بين الجغرافيا والتاريخ ، حيث مزج المسعودى بينهما في كتابه بأسلوب رائع ، بينما أبقى يعقوبى كتبه الجغرافية والتاريخية منفصلاً بعضها عن بعض (٤) . .

ويشيد روزنتال بتجارب يعقوبى وسعاناته في سبيل تحصيل معلوماته التي جاء وصفه إياها في مقدمة كتابه (البلدان) « فكل من يقرأ المقدمة التي

(١) علم التاريخ عند المسلمين : ١٨٤ .

(٢) نفسه : ٢٦ .

(٣) نفسه : ٩٧ - ١٢٦ .

(٤) علم التاريخ عند المسلمين : ١٥١ .

كتبها اليعقوبي لكتابه الجغرافى (البلدان) لابد أن يتذكر أولئك الرحالة الباحثين عن المعرفة ، أمثال هيكتايوس ، واهتمامهم بالشعوب والبلاد الأجنبية « (١) .

ويمتدحه بالاهتمام بالنصوص والوثائق فيقول :

« أما اليعقوبى فقد خصص فصلاً خاصاً فى تاريخه لمكاتبات الرسول والخلفاء الراشدين ، والرسائل الواردة من العمال الأجانب ، وهى رسائل طريفة جداً » (٢) .

ولاشك أن هذه الدراسة النقدية الحصيفة منصفة لليعقوبى ، ورافعة لنظرة الدارسين نحوه ، دون تحيز لا يسنده دليل .

مشكلة الناس لزمانهم :

الذى يبدو من كتابات المترجمين والنقاد ، أنهم لم يطلعوا على هذه الرسالة الصغيرة الحجم ، فحديثهم عنها بالسماح ، إذ لم يصفها أحدهم - كما صنعوا مع كتبه الأخرى - بالصغر أو الكبر أو عدد الصفحات أو المجلدات ، أو تناول شىء من المضمون ، حتى روزنتال الذى اتخذ من عنوانها استدلالاً على اتجاه اليعقوبى ، الذى قارب المحدثين فى استنتاج القوانين الإجتماعية والإنسانية من مسار التاريخ .

والنسخة الموجودة فى مكتبة (مراد ملا) هى من سبع ورقات ، مسطرتها واحد وعشرون سطراً ، من القطع (١٨-٢٧١/٢ سم) وهى ضمن مجموعة من ٧٩ (أ) / ٨٦ (أ) وقد حررت فى القرن التاسع الهجرى بخط النسخ ، ينقصها إجابة ضبط الأعلام بالإعجام ، وعدم وضوح بعض الألفاظ ، التى لعل الناسخ لم يفهم مدلولها فرسمها على التقريب ، مما دعانا إلى مراجعة كتب التاريخ المختلفة للمؤلف وغيره ، وكثير من المراجع والمطان ،

(١) نفسه : ١٥٤ .

(٢) نفسه : ١٦٨ .

التي نظمتن بها على تحقيق النص ، ليسكون أقرب إلى الكمال إن لم ندرکه .
وكان العمل في صورته الأولى معتمداً على (الفيلم رقم ٩٢٢) الذي أخذنا
صورته من معهد المخطوطات ، مسترشدين بالجزء الثاني من الفهرس التاريخي ،
ونسأل الله أن يلهمنا السداد فيما توليناه .

موضوع الكتاب

بين الفكر والتطبيق :

يبدو من استهلال المخطوطة أنها مسبوقة بكلام مفقود - كما سترى -
ولكنها بحالها تدور على محور هو عنوان الكتاب ، حيث يصور العنوان
الفكرة ، ويمثل الكتاب التطبيق .

والفكرة ناتجة عن استقواء للمعتاد من التبعية بالتقليد ، يسرع بها العامة
للخاصة ، في جميع العصور والأقطار .

والتقليد من غرائز الإنسان المبكرة منذ الطفولة ، وهو وسيلة أولية
من وسائل اكتساب المهارات والمعارف ، دون تفريق - أو بتفريق - بين
الضار والنافع ، إذ يقلد الإنسان أحياناً فيما يجره نحو حنفة .

والحامل على التقليد الاستهواء ، أو تقدير المنفعة ، أو حب إظهار
القدرة ، أو النفاق على وجه التقية أو المحاملة . . .

وكما تسم البيئة الطبيعية نباتها وحيوانها بميسمها ، فترى نبات الصحراء
وحيوان الصحراء يختلف في مميزات عن الحيوان والنبات في المروج الخضراء
وشواطئ الأنهار والغدران - تسم البيئة الاجتماعية أبناءها بالغالب عليها من
طرق العيش واكتساب المظاهر في إطارها الجامع ، فلا يفلت من هذا
الانطباع إلا العاجز بسبب من أسباب العجز ، أو الرفض لما عليه المجتمع ،
لأنه ذو نزعة سلوكية مثلها الأعلى غير متربع على العرش في زمن رفضه .

وكما يتخذ الأطفال من الأهل والأساتذة نماذج عليا يقلدون ما يستهوى

عقولهم منها ، فإن الشعوب مع الملوك والرؤساء كالأطفال مع الآباء في ذلك التقليد . . ولهذا يكون من واجب الكبار لله ، ثم للأمة والتاريخ ، أن تكون مظاهر حياتهم وسلوكهم على النهج المرضى ، حتى لا ينحدروا بالتابعين والراعي المقلدين عن مستوى النبلاء الناهضين ، الذين يقدرون حرمة الدين والإنسان والحياة .

لهذا شددت رسالة الإسلام على ضمير الراعي ليعرف قيمة التبعة ، وليعلم أنه مسئول أمام الله عن رعيته حفظ أم ضيع ، وأعظمت الجزاء لمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ولمن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

هذه الحقيقة الثابتة بالاستقراء «مشكلة الناس لزمانهم» وعلى رأس الزمان السادة من ملوك وحكام ، مثل لها اليعقوبى في فترة من عمر البشر ، وفي قطاع من التاريخ الإسلامى ، يبدأ خلفاء الإسلام وأولهم (أبو بكر الصديق رضى الله عنه) وينتهى بالخليفة (المعتضد) الذى ولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ ، وهو آخر الخلفاء فى حياة المؤلف ، إذا صح أن وفاة اليعقوبى كانت سنة ٢٨٤ هـ فقد توفى المعتضد سنة ٢٨٩ هـ .

أثبت المؤلف على مد هذه الفترة ، تطبيق المثل على الحقيقة ، من مشابهة الناس للحاكم ، واقتدائهم به فى الظواهر العامة للسلوك .

هذه الظاهرة أو الحقيقة الاجتماعية فى تاريخ البشر ، لا ينفرد اليعقوبى بالحديث عنها ، إذ هى تفصيل فى كتابه لما أجمل قبله فى قولهم : الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم .

وقولهم : الناس على دين ملوكهم . وقد نلمح مغزى هذه الظاهرة فى القول الشائع :

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ومن تحدث فى المعنى دون تفصيل ، ابن طباطبا العلوى فى كتابه

(تاريخ الدول الإسلامية) حيث يقول في خواص الملوك :

« واعلم أن للملك أموراً تخصه ، يتميز بها عن السوقة ، فمنها أنه إذا أحب شيئاً أحببه الناس ، وإذا أبغض شيئاً أبغضه الناس ، وإذا لهج بشئ عطج به الناس ، إما طبعاً أو تطبعاً ، ليتقربوا بذلك إلى قلبه ، ولذلك قيل : الناس على دين ملوكهم . فانظر كيف كان زى الناس في زمن الخلفاء ، فلما ملكت هذه الدولة ، وأسبغ الله إحسانها ، وأعلى شأنها ، غير الناس زيهم في جميع الأشياء ، ودخلوا في زى ملوكهم بالنطق ، واللباس ، والآلات والرسوم ، والآداب ، من غير أن يكلفوهم ذلك أو يأمرؤهم به ، أو ينهؤهم عنه . ولكنهم علموا أن زيهم الأول مستهجن في نظرهم ، مناف لاختيارهم ، فتقربوا إليهم بزيهم ، وما زال الملوك في كل زمان يختارون زياً وفناً فيميل الناس إليه ، ويلهجون به ، وهذا من خواص الدولة وأسرار الملك (١) »

والشعالي في كتابه (الفرر في سير ملوك الفرس) يذكر مقتطفات من كتاب « البدء والتاريخ » للمطهر ، عن أديان الهنود وعاداتهم وقوانينهم فيقول :

« إن الكلام على هذه الأمور هو كالكلام على ملوكهم ، لأن الناس على دين ملوكهم ، وخاصة الهنود ، الذين يضحون بأنفسهم من أجل إعلاء ملوكهم . . . » (٢) .

كما كتب ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) فصله الثالث والعشرين من مقدمته « في أن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب : في شعاره ، وزيه ، ونخلته ، وسائر أحواله وعوائده » (٣) .

(١) تاريخ الدول الإسلامية : ٢٦ .

(٢) علم التاريخ عند المسلمين : ١٣١ عن مخطوطة الفرر ٢٤٧ - باريس .

(٣) مقدمة ابن خلدون : ١٤٧ .

« والسبب في ذلك أن النفس أبدأ تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه ، إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي ، إنما هو لكمال الغالب ، فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به ، وذلك هو الاقتداء . أو لما تراه - والله أعلم - من أن غلب الغالب لها ليس بعصية ولا قوة بأس ، وإنما هو بما انتحلت من العوائد والمذاهب ، تغالط أيضاً بذلك عن الغلب ، وهذا راجع للأول .

ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدأ بالغالب في ملبسه ، ومركبه ، وسلاحه ، في اتخاذها وأشكالها ، بل وفي سائر أحواله . .

وانظر في الأبناء مع آبائهم : كيف نجدهم متشبهين بهم دائماً ، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم ، وانظر إلى كل قطر من الأقطار : كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في الأكثر ، لأنهم الغالبون لهم ، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها ، فيسرى إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير ، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة ، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم ، والكثير من عوائدهم وأحوالهم ، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله . وتأمل في هذا سر قولهم : العامة على دين الملك ، فإنه من بابه ، إذ الملك غالب لمن تحت يده ، والرعية مقتدون به ، لاعتقاد الكمال فيه ، اعتقاد الأبناء بأبائهم ، والمتعلمين بمعلميهم»

خصوصية الملك :

غير أن للملوك مع هذا نزعة حب التفرد ببعض المزايا ، التي لا يحبون المشاركة فيها ، لأنهم يرون في مشاركتهم انتقاصاً لعظمتهم ، كما يشير

الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) إذ يقول : (١) .

« فأما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحامته ، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحداً فيه . وكذا حكى عن أنو شروان ومعاوية بن أبي سفيان . وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا . » .

« ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئاً تعجز عنه الرعية ، أو يتزوا بزى يnehون الرعية عن مثله ؟ » .

فمن ذلك أردشير بن بابك ، وكان أنبل ملوك بني ساسان . كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب ريجان متشعباً به ، وكان إذا ركب في لبسه لم ير على أحد مثلها ، وإذا تحم بخاتم فحرام على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك الفص وإن بعد في التشابه .

... وطاعة أهل المملكة أن تتحامى أكثر زى الملك ، وأكثر أحواله وشيمه ، حتى لا يأتي ما لا بد لها منه .

وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص في مكة ، كان إذا اعتم بمكة لم يعتم أحد بعمه ما دامت على رأسه .

وهذا الحجاج بن يوسف كان إذا وضع على رأسه طويلة لم يجترىء أحد من خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلها . . . » .

« ومن قصد إلى أن يشرك الملك في شيء يجد عنه مندوحة ومنه بدا بالمهل المبسوطة والأيام المحدودة ، عاص مفارق للشرعية (٢) » إلا أننا إلى يوم الناس هذا ، نجد الصورة العامة التي رسمها يعقوبى لتلك المتابعة ، فالدولة التي ينضبط سلوك حكامها على سنن الشرعية والقانون ، تقود شعبها في استقامة وحزم ، والتي يصيبها في السادة التحلل والغفلة ، يصيبها في شعبها

(١) التاج المنسوب للجاحظ : ٥٥ - وقد نقل الأبيهي كلامه دون نسبه في (المستطرف :

١ : ١٠٨) .

(٢) التاج : ٩٤ .

ما أصاب السادة من غيبوبة عن الهدى ، فترتدى ألف زى من الأخلاق واللباس والمعاملة . وإذ غاب العرب على البلاد المفتوحة رأينا زى العرب ولغة العرب تسود المغلوب ، وإذ غلب الأتراك رأينا مظهر الأتراك يسود سواد الحياة فى الزى والمراسم والعادات ، وقد شهدنا بعض الملوك يعنى لحيته لعله فى البشرة ، فيسرى إعفاء اللحي فى شعبه بما لم يفعله وازع العقيدة . وإلى عهد قريب كان الدخول من المرعوس على الرئيس بلا (طربوش) جنابة وقحة ، ، ومن عهد قريب عربت عنه رعوس الحكام فعربت رعوس الأتباع .

تلك هى الفكرة لكتاب يعقوبى وهذا هو التطبيق .

عملنا فى الكتاب :

لم نعثر للكتاب على مخطوطة أخرى ، فعمدنا إلى كتب التاريخ ، والتراجم ، والبلدان ، واللغة ، نصوب منها ما يعوزه التصويب ، وقد حصلنا بذلك على صورة إن لم تكن الأصل فى كلمة منها فهى لا تفارقه كثيراً ، وقد رأينا زيادة التفسير والتكميل أمراً لازماً لتمام الفائدة فذيلنا بهوامش أكثرها منقول منسوب ، ولم نجد غنى عن التعريف بالمؤلف الذى لم تطل التراجم حديثها عنه ، فحررنا هذا التقديم للتعريف به ، وبيان منزلته ، وكان ختام التقديم هذه الدراسة المتممة لفكرة « مشاكلة الناس لزمانهم » حتى يتضح الموضوع بصورة أكبر ، وبالله التوفيق ومنه العون والسداد .

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على نبيه . .
كتاب

مشاكلة الناس لزمانهم ، وما يغلب عليهم في كل عصر
قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح
رحمه الله :

فأما الخلفاء وملوك الإسلام ، فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة ،
يسلكون سبيله ، ويذهبون مذاهبه ، ويعملون على قدر ما يرون منه ،
ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله .

أبو بكر :

فكان أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أزهد الناس ،
وأشدهم تواضعاً وتقللاً في لباسه ، وكان يلبس (٢) - وهو خليفة - الشملة

(١) كانت بيعته رضى الله عنه يوم الإثنين ، لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة ١١ هـ (تاريخ
اليعقوبي : ٢ : ١٢٧) .

(٢) من قوله عندما حضرته الوفاة : « أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً
ولا درهماً ، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على
ظهورنا . . . » (طبقات ابن سعد : ١٣٩) .

قال ابن طباطبا - والأمر كما قال - : « فأما خلافة الأربعة الأول . . . فإنها كانت أشبه
بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية في جميع الأشياء كان أحدهم لمبس الثوب من الكرباس الغليظ ،
وفي رجله نعلان من ليف ، وحائل سيفه ليف ، ويمشي في الأسواق كبعوض الرعية . . . وكانوا
يعدون هذا من الدين الذي بعث به النبي صلوات الله عليه وسلامه » (تاريخ الدول
الإسلامية : ٢٩) .

والعبادة . وقدمت عليه أشراف العرب وملوك اليمن وعليهم التيجان وبرود
الوشى والحرير ، فلما رأى القوم تواضعه ولباسه نزعوا ما كان عليهم ،
وذهبوا مذهبه ، واقتفوا أثره .

وكان ذو الكلاع ملك حمير فيمن قدم على أبي بكر في عشيرته وقومه
وعليه التاج ، وكان له عشيرة ألف عبد خولاً في مخاليفه ، فلما رأى لباس
أبي بكر قال : ما ينبغي أن نفعل بخلاف ما عليه خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فنزع لباسه الأول ، وتشبه بأبي بكر ، حتى إنه رأى في سوق
المدينة يحمل جلد شاة على قفاه ، فقالت له عشيرته وقومه : فضحنتنا !
أنت سيدنا ! تحمل جلد شاة بين المهاجرين والأنصار ؟ .

قال : فأردتم منى أن أكون جباراً في الجاهلية جباراً في الإسلام ؟ .

وكان الأشعث بن قيس ملك كندة يلبس التاج ، ويحيا بتحية الملوك
فلما أسلم بعد ارتداده وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة (١) ،
تواضع بعد التكبر ، وتدلل بعد التجبر ، حتى كان يشد عليه شملة خلقة ،
ثم يهنأ البعير بيده ، تشبهاً بأبي بكر ، واطراحاً للأخلاق التي كان عليها في
الجاهلية .

وكان أبو بكر رحمه الله ، لا يحمل أحداً من الأشراف على التجاوز ،
حتى إنه بلغه عن أبي سفيان بن حرب أمر يكرهه ، فدعا به ، فجعل يصيح
عليه وأبو سفيان يتدلل له ، ويتواضع بين يديه ، وأقبل أبو قحافة يقوده
قائده - وكان قد عمى - فسمع صياح أبي بكر ، فقال لقائده : على من يصيح
أبو بكر ؟ قال : على أبي سفيان بن حرب ، قال : أبا عتيق ! أعلى
أبي سفيان ترفع صوتك ؟ لقد تعديت طورك ! فقال : يا أبت إن الله قد
رفع بالإسلام قوماً ووضع آخرين ! .

(١) كان الأشعث قد ارتد فيمن ارتد ، فلما حصر طلب الصلح والأمان لعشيرته ،
فن عليه أبو بكر وقد جيء به موثقاً وأطلقه ، وزوجه أم فروة أخته .

عمر :

وكان عمر بن الخطاب (١) رحمه الله - مع تواضعه وخشونة ملبسه ومطعمه - شديداً في ذات الله ، فكان عماله وسائر من يحضره أو يغيب عنه يتشبهون [به (٢) ولا يفارق أحد مذهبه] (٣) (من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يلبس الجبة الصوف ، ويشتمل بالعباءة ، ويهنا (٤) البعير ، ويحمل قربة (٥) الماء على ظهره لأهله ، وكان العامل من عماله وهم أمراء الأمصار - وقد فتح الله عليهم ، رخولهم ، ومكن لهم ، وأغناهم ، وكفاهم (٦) يتحفون (٧) ، ويخضعون النعال ويلبسون الحفاف ، ويلبسون غلاظ الثياب ، وإذا قدموا عليه قدموا شعثاً ، غيراً ، غلاظاً ثيابهم ، شحبة ألوانهم . فإن رآهم ، أو بلغه عنهم غير ذلك أنكره عليهم . وكان ركوبهم الإبل أكثر من ركوبهم للخيل على التشبه بعمر ، وسلوك فعله ، وما كانوا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه رأى على أبي عبيدة بن الجراح - وهو أمير الشام رقد فتحتها الله عليه - جبة صوف قد تغيرت رائحتها ، فقال

(١) ولى عمر رضى الله عنه الخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، وقيل : لسبع بقين منها سنة ١٣ هـ (٢ : ١٣٩ - اليعقوبى) .

وحسبه من خشونة ملبسه ما أخبر به أنس : لقد رأيت بين كنفى عمر أربع رقايع في قيص له ، وما ذكره أبو محصن الطائى : رأى على عمر بن الخطاب وهو يصل إزار فيه رقايع بعضها من آدم وهو أمير المؤمنين . (٧ : ٢٣٧ - ٣ - الطبقات)

أما عيشه ، فعن الحسن قال : كلوا حفصة أن تكلم أباهما أن يلين من عيشه شيئاً ، فقالت : يا أبتاه ، أو يا أمير المؤمنين ، إن قومك كلموني أن تلين من عيشك : فقال : غششت أباك ونصحت لقومك . (السابق ١٩٩ : ٦) .

(٢) و (٣) ما بين الحاصرتين مزيد .

(٣) يطل البعير بالهاء وهو القطران ليرأ من جريه .

(٤) فى الأصل : القربة الماء .

(٥) فى الأصل : وأكفاهم .

(٦) يمشون حفاة عن قصد منهم .

أبو عبيدة : لقد جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما هو أشد راحة من هذا فما أنكره . (١) .

وكان سلمان الفارسي عامل عمر بن الخطاب على المدائن ، وكان يلبس غليظ الثياب ، ويركب الحمارة بهرذعة مرسنة بجبل (٢) ليف . وحضرته الوفاة ، فأتاه سعد بن أبي وقاص فقال له : أوصني يا أبا عبد الله ! فقال : نعم . اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت (٣) ، وعند يدك إذا قسمت ! وجعل سلمان يبكي ! فقال له : يا أبا عبد الله ، ما يبكيك؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول] : (٤) « إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون ! » وأرى هذه الأساور حولي ! فنظرنا فما رأينا في بيته إلا إداوة ، أو ركوة ، أو قدراً ، أو مطهرة (٥) .

وولى عمر بن الخطاب عمير بن سعد الأنصاري جند حصص ، فأقام حولاً ثم انصرف على جملة ، على الحال التي مضى من عند عمر بها (٦) ، فقال عمر : ويح قوم وليت عليهم ما عرفوا لك حقاً ! أو كما قال .

(١) الحق أن الإسلام لم يفرض هذا الزهد البالغ في طيبات الحياة من الحلال على أحد ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم - وهو إمام الأمة وهاديها إلى الحق - أطيب الناس جسماً وثوباً ، وكان يرى ويبص الطيب في مفرقه . وإنما هي شدة الخوف من الدنيا وشدة الرجاء في نعيم الآخرة ، قد صرفت الهمم عما أحل لها ، لا تحريماً لما أحل الله ، بل تواضعاً لجلاله ورجاء لما عنده ، وحسب أبي عبيدة إشفاقاً من الدنيا على شدة بلائه أن يقول : وددت أني كبش فذبجني أهل فأكلوا لحمي وحسوا مرقى ! رضى الله عن أمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح .

(٢) في طبقات ابن سعد « حدثنا أبو المليلح عن حبيب بن أبي مرزوق عن هريم قال : رأيت سلمان الفارسي على حمار عري ، وعليه قيص سنبلاني قصير ضيق الأسفل - وكان رجلاً طويل الساقين كثير الشعر ، وقد ارتفع القميص حتى يبلغ قريباً من ركبته . قال : ورأيت الصبيان يحضرون خلفه ، فقلت : ألا تنحون عن الأمير ؟ فقال : دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم » (٢ : ٦٢ - الجزء الرابع - طبقات ابن سعد) .

(٣) في الأصل (حكمت) .

(٤) مزيد .

(٥) الإداوة بالكسر : المطهرة (القاموس المحيط) والركوة لعلها حوض أو حفرة

لتلق الماء .

(٦) في الأصل « على الحال التي مضى عليها من عند عمر بها . »

عثمان :

وكان عثمان بن عفان (١) رحمه الله في السماحة، والجود، وصلة الأرحام ورفع القربة، واتخاذ المال، على ما كان عليه، فامتثل الناس فعله، فبنى عثمان داره بالمدينة، وأنفق عليها مالا جليلا، وشيدها بالحجارة، وجعل على أبوابه مصاريع الساج، واتخذ أموالا بالمدينة وعيوناً وإبلا (٢).

قال عبدالله بن عتبة: كان لعثمان بن عفان يوم مات عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار، وألف ألف درهم، وكانت ضياعه بئر أريس، وخيبر، ووادي القرى، قيمته (٣) ألف دينار وخلف خيلا وإبلا.

وفي أيام عثمان اتخذ أصحاب (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال، وبنوا الدور، فبنى الزبير بن العوام داره المشهورة بالبصرة، وفيها الأسواق والتجارات، وبنى الزبير أيضاً داراً بالكوفة. وداراً بمصر، وداراً بالإسكندرية، وبلغ ثمن مال الزبير خمسين ألف دينار، وترك ألف فرس، وألف مملوك، وخططا بمصر، والإسكندرية، والكوفة، والبصرة.

وبنى طلحة بن عبيد الله دوراً، وعقارات، قومت بمائة ألف دينار، وكانت غلته بالعراق في كل يوم ألف واف، وغلته بالشام عشرة آلاف دينار، وبنى داره بالجص والآجر والساج، وترك من الذهب والفضة مالا جليلا.

(١) كانت ولاية عثمان رضي الله عنه يوم الإثنين مستهل المحرم سنة ٢٤ هـ (٢: ١٦٢ - البيهقي).

(٢) عن عبيد الله بن دارة: كان عثمان رجلاً تاجراً في الجاهلية والإسلام، وكان يدفع ماله قراضاً. وعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه: أن عثمان دفع إليه مالا مضاربة على النصف « (٢: ٤١ ج ٣ الطبقات) فلا عجب أن يصنع عثمان رضي الله عنه ما صنع، والله تعالى لم يحرم الكسب الحلال والاستمتاع بالطيبات من الرزق مع أداء حقه تعالى منها.

(٣) لعله (قيمتها).

(٤) يعني أغنياء الصحابة لاجميعهم.

وبنى عبد الرحمن بن عوف داره فوسعها ، وكان له ألف بعير ،
وعشرة آلاف شاة ، ومائة فرس ، وبلغ ربع ثمن ماله أربعة وثمانين
ألف دينار .

وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق (١) فشيدها ، وجعل لها
شرفات . قال سعيد بن المسيب : وترك زيد بن ثابت من الذهب والفضة
ما كان يكسر بالفئوس ، ومالا وضياعاً ، وعيوناً ، مبلغها مائة ألف
وخمسون (٢) ألف (دينار) .

وترك يعلى بن منية التيمي خمسمائة ألف دينار ، وعقارات ، وضياعاً ،
وديوناً بقيمة ثلاثمائة دينار .

وبنى المقداد قصره بالجرف (٣) باللبن ، وجصص باطنه وظاهره ،
وجعل له شرفات ، ولم يفعل هذا أحد من الناس (٤) على عهد عمر ، وإنما
فعلوه بعده .

على :

وكان على بن أبي طالب عليه السلام مشغلاً أيامه كلها بالحرب ،
إلا أنه لم يلبس ثوباً جديداً ، ولم يتخذ ضيعة ، ولم يعقد على مال إلا ما كان
له بينبع ، و (٥) ... فما تصدق به ، وحفظ الناس عنه الخطب ، فإنه خطب
بأربعمائة خطبة حفظت عنه ، وهى التى تدور بين الناس ، ويستعملونها
فى خطبهم وكلامهم .

(١) العقيق : من أعظم وديان المدينة (٢٦ : آكام المرجان) .

(٢) فى الأصل : (وخمين) .

(٣) قرب المدينة .

(٤) فى الأصل : « ولم يفعل أحد هذا من الناس هذا » .

(٥) كلمة مبهمه ، ولعل ما فى موضع النقط (وادى القرى والأذينة ورعد) وقد ذكر
المسعودى أن تركته كانت سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأهله .
وقيل : ترك لأهله مائتين وخمسين درهماً ومصحفه وسيفه .

ص ٦٠٩ - المجلد الأول طبعة التحرير سنة ١٩٦٦ بتحقيق محمد مجيب الدين عبد الحميد .

على أنه (رضى الله عنه) جعل ما كان له فى ينبع وغيرها صدقة جارية كما ورد فى وصيته

التي ذكرها عبد الرازق فى مصنفه (٣٧٤/١٠) .

خلفاء بني أمية

معاوية :

وكان معاوية بن أبي سفيان (١) ، فبنى القصور ، وشيد الدور ، وعلى الستور ، واتخذ الحرس ، واتخذ الشرطة ، وأقام الحجاب ، وبنى المقاصير في المساجد ، وركب اللوالب الهماليج بالسروج (٢) المصنفة ، ولبس الخنز والوشى ، واتخذ الصوائف (٣) والضياح ، وعمل له الطراز (٤) باليمن ، وبمصر والإسكندرية ، والرها . فاتخذ أهله ، وولده ، وعماله ما اتخذ ، وفعلوا مثل ما فعل ، فبنى عمرو بن العاص داره بمصر ، واتخذ لنفسه الضياح ، وغرس في ضيعته التي يقال لها : الوهط (٥) بالطائف ألف عود كرم ، فكانت غلته عشرة آلاف ألف درهم . وخلف عمرو يوم مات ثلاثمائة ألف دينار ، وقال لما حضرته الوفاة : ياليتها كانت مائة ألف دينار (٦) .

(١) ببيع معاوية في الكوفة سنة ٤٠ هـ في شهر ذي القعدة .

(٢) لعله (المفضضة) والهماليج من الهملجة لفظ فارسي معرب يدل على الفراغة .

(٣) لما ولي معاوية عبدالله بن دراج خراج العراق ، طلب أن يحمل إليه من مالها ما يستعين به ، فأخبره أنه كان لكسرى وآل كسرى صوائف يحبون مالها لأنفسهم ، ولا تجرى بجرى الخراج ، فكتب إليه ليحصيها ويستصفيها له ، ويضرب عليها المسنيات ، فبلغت جبايتها خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسواها ، وكذلك فعل بالشام والجزيرة واليمن . (٢ : ٢١٨ - اليعقوبي) .

(٤) الطراز بالكسر : علم الثوب معرب ، وطرزه تطريزاً أعلمه فتطرز . . . والنمط ثوب نسج للسلطان . (٢ : ١٨٠ - القاموس المحيط) .

(٥) في القاموس : ٢ : ٣٩٢ - والوهط . . . مال لعمرو بن العاص بالطائف على ثلاثة أميال من وج ، كان يعرش على ألف ألف خشبة ، شراء كل خشبة درهم . وقال الفزويني في أخبار الطائف : وبها كرم الوهط : كرم كان لعمرو بن العاص معروشاً على ألف ألف خشبة شرى كل خشبة درهم . . .

(٩٨ : آثار البلاد وأخبار العباد)

وقد ورد ذكر (الوهط) في وصيته التي ذكرها عبد الرزاق في مصنفه ص ٣٧٧ من الجزء العاشر .

(٦) حين شارف عمرو الوفاة «نظر إلى ماله فرأى كثرته ، فقال : ياليتها كان بعراً : ياليتها متى قبل هذا اليوم بثلاثين سنة ! أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني ! آثرت دنياي وتركت آخرتي ! عمى على رشدي حتى حضرني أجل ! كأني بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي ! » (٢ : ٢٢٢ - اليعقوبي) .

وفعل عبد الله بن عامر بن كريز عامل معاوية بالبصرة مثل ذلك :
فحضر الأنهار ، وشيد الدور ، وبني القصور ، واتخذ الضياع ، والأموال
والأخبية بالبصرة ، وبمكة ، والطائف .

وفعل زياد عامل معاوية على العراق ذلك بالكوفة ، والبصرة ، وسائر
العراق ، واتخذ الضياع ، وبني وشيد البنيان ، وخلف زياد يوم مات
ستة آلاف ألف دينار ، فأخذها معاوية . وهكذا كان معاوية يقول لعماله ،
وربما شاطر ورثته . . .

وفعل مسلمة بن مخلد عامل معاوية على مصر مثل ذلك ، فاتخذ ضياعاً
بمصر وقفها على قومه ، وخلف يوم مات ألف دينار ، وألف ألف درهم .

وفعل عقبة بن عامر الجهني ، وكان عامل معاوية على مصر ، ضياعاً
بمصر ، وحبس بعضها ، وبني داراً بمصر بالحجارة والحصص ، وخلف ثلاثين
ألف دينار وسبعمائة ألف درهم .

وباع حويطب بن عبد العزى داراً من معاوية بأربعين ألف دينار ،
فقيل له : يا أبا محمد ، أربعون ألفاً ؟ فقال : ما أربعون ألف دينار لرجل
عليه ستة من العيال ؟ .

وكان معاوية يقول : أنا فتقت الملك .

يزيد بن معاوية :

وكان يزيد (١) بن معاوية صاحب طرد ، وجوارح ، وكلاب ، وهو ،
ومنادمة على الشراب . فغلب ذلك على أصحابه ، وفي عصره ظهر الغناء بمكة
والمدينة ، واستعملت الملاهي ، وأظهر الأشراف الشراب .

(١) ببيع مستهل رجب سنة ٦٠ هـ (٢ : ٢٤١ - اليعقوبي) وكان أشد الناس كلف
بالصيد لا يزال لاهياً به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب ، والجلال المنسوجة
منه ، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه (٥٥ : تاريخ الدول الإسلامية) وكان موفر الرغبة في
القهو والقنص والحمر والنساء والشعر (١١٣ : نفسه) .

عبد الملك بن مروان :

ثم كان عبد الملك بن مروان (١) ، فكان صارماً ، حازماً ، بخيلاً ، يحب الشعر والفخر ، والتقريظ والمدح ، وكان في عصره فحول الشعراء : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وغيرهم . وكثر الشعر في أيام عبد الملك ، وامتدحت الشعراء الأمراء والأشراف وطلبت الثواب .

وكان لعبد الملك إقدام على الدماء ومعاجلة ، فكان عماله على مثل مذهبه : الحجاج بالعراق ، والمهلب بنجراسان ، وهشام بن اسماعيل الخزومي بالمدينة ، وعبد الله بن عبد الملك بمصر ، وموسى بن نصير اللخمي بالمغرب ، ومحمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج باليمن ، ومحمد بن مروان بالجزيرة والموصل . وكلهم جائر ، ظالم ، غشوم ، عسوف ! وكان الحجاج من أظلمهم وأقدمهم على الدماء .

الوليد :

وكان الوليد (٢) بن عبد الملك جباراً ، عنيداً ، ظلوماً . وكان عماله في جميع البلدان على مثل مذهبه ، فكان عمر بن عبد العزيز يقول : الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وقررة بن شريك بمصر ، وموسى بن نصير بإفريقية ؟ امتلأت الأرض جوراً !

ولم نعرف من مذهب الوليد بنى الأبناء المساجد (٣) ، فإنه بنى مسجد دمشق .

(١) ملك في رمضان سنة ٦٥ هـ (٢ : ٢٦٩ - اليعقوبي) كان قبل الخلافة من فقهاء المدينة ، ويسمى حمادة المسجد لمداومة قراءة القرآن ، فلما استخلف انقلب ملكاً جباراً ، يدبر ملكه وديناه : سلب الحجاج بن يوسف على الناس ، وغزأ الكعبة ، وقتل عبدالله بن الزبير وأخاه مصعباً قبله (١٢٢ : تاريخ الدول الإسلامية) .
(٢) ولي الوليد للنصف من شوال سنة ٨٦ هـ .

(٣) يخالف هذا قول ابن طباطبا : « وكان شديد الكلف بالعمارات والأبنية واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتفتون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن الأبنية والعمارات »
(١٢٧ : تاريخ الدول الإسلامية)

سليمان بن عبد الملك :

ثم كان سليمان بن عبد الملك بن مروان (١) ، فكان صاحب طعام ، وأكل كثير يتجاوز المقدار ، ولباس الثياب الرقاق ، وثياب الوشي : جبابا ، وأردية ، وسراويلات ، وعمائم ، وقلائس ، فكان لا يدخل أحد من أهل بيته عليه إلا في الوشي . وكذلك عماله ، وأصحابه ، وخدمه ، ومن في داره . وكان لباسه في ركوبه ، وجلوسه ، وعلى المنبر . وكان لا يدخل إليه أحد من خدمه إلا في الوشي حتى الطباخ ، فإنه كان يدخل إليه في جبة وشي وطولة وشي .

عمر بن عبد العزيز :

ثم كان عمر بن عبد العزيز بن مروان (٢) ، فولى بتواضع ، ونسك ، وزهد ، ودين ، وتقريب لأهل الفضل ، فعزل عمال الوليد ، واستعمل أصلح من قدر عليه ، فكان عماله يذهبون مذهبه ، وارتفع عن الناس ما كانوا فيه من الجور والظلم ، ، وترك لعن علي بن أبي طالب - عليه السلام - على المنابر ، وجعل مكانه : (اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) (٣) فاستعمل الناس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية .

(١) ولى للنصف من جادى الأولى سنة ٩٦ هـ . كانت أيامه ذات فتوح متوالية ، وكان غيراً شديداً الغيرة ، وكان نهماً : فيقال : إذا الطباخ كان يأتيه بالشواء فلا يصبر حتى يبرد ، فيأخذه بكه . وقد أهدى الرشيد إحدى جباب سليمان الملوثة الأكام بالدهن للاصمعي حين حدثه الاصمعي بخبره ، وكان الرشيد يظنه أثر طيب . (١٢٨ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٢) ولى رضى الله عنه - لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ « وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة وتلاوة ، فكان الناس إذا تلا قوا في أيامه سأل بعضهم بعضاً : ما وردك الليلة ؟ وم تحفظ من القرآن ؟ وم تقوم من الشهر ؟ » .

(١٢٧ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٣) وقيل : إنه جعل مكانه قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . الآية »

فدحه بذلك الشعراء ومنهم كثير الذى يقول :

وليت فلم تشتم عليا ، ولم تحف بريا ، ولم تتبع مقالة مجرم

(١٢٩ : تاريخ الدول الإسلامية)

يزيد بن عبد الملك :

وكان يزيد بن عبد الملك (١) هو أول خليفة اتخذ قينة ، وغلبت على أمره امرأة ، فكانت حباية جاريتها المغنية تولى وتعزل ، وتطلق وتحبس ، وتأمّر وتنهى ! وكان مع ذلك يسرع ، إلى الدماء والأموال ، وعاود عماله ما كانوا عليه من الجور .

هشام :

ثم كان هشام بن عبد الملك (٢) بن مروان . كان خشناً ، فظاً ، غليظاً ، بخيلاً ، يجمع الأموال ، ويعمر الأرض ، ويستعيد كل شيء يعمل له من الكسوة والفراش ، ويعاقب على التقصير فيه بأغلظ عقوبة . وفي أيامه عمل الخنز (٣) والرقم ، وكان الناس جميعاً في أيام هشام على مثل مذهبه ، في منع ما بأيديهم ، وقلة الإفضال ، وانقطاع الرفد ، حتى إنه يقال : لم ير زمان أصعب على الناس من زمانه ، وذلك أنه منع ما كانت الخلفاء تفعله من البذل ، والعطايا ، والجوائز ، والصلوات . فاستعمل (٤) الناس ذلك ، وسلكوا سبيله ، واقتدوا به . وقال له أبو حازم الأعرج (٥) : إنما أنتم سوق يحمل إليكم ما نفق عندكم .

(١) ولى في رجب سنة ١٠١ هـ وهو « خليع بن أمية : شغف بجاريتين اسم إحداهما سلامة واسم الأخرى حباية ، فقطع معهما زمانه » وغنته حباية يوماً فأقسم أن يطير . فقالت : على من تدع الأمة ؟ قال : عليك ، ، وقبل يدها ، حتى قال خدمه : سخنت عينك ما أسخفك . (١٣١ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٢) ولى في رمضان سنة ١٠٥ هـ وكان من أحزم بنى أمية إلا أنه بخيلاً كان حسوداً فظلاً غليظاً ظلوماً . . . وعمل الخنز والرقم وغيره ، والشوشى والأرمي وأصناف الثياب « (٢ : ٣١٨ - اليعقوبى) والرقم - كما في القاموس : ضرب مخطط من الشوشى أو الخنز أو البرد . (٣) الرقم : ضرب مخطط من النسيج . (٤) في الأصل : (فاستعملوا الناس ذلك) .

(٥) كان أبو حازم الأعرج من الفقهاء الواعظين أيام هشام .

الوليد بن يزيد :

وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١) صاحب شراب ، وهو ، وطرب ، وسماع للغناء ، وهو أول من حمل المغنين من البلدان إليه ، وجالس المهين وأظهر الشراب والملاهي والعزف . وكان في أيامه : ابن سريج المغني ، ومعبد ، والغريص ، وابن عائشة ، وابن محرز ، وطويس ، ودحمان (٢) . وغلبت شهوة الغناء على الأشراف ، واتخذ الناس العيدان . وكان متهتكاً ، ماجناً ، خليعاً .

(١) ول لعشر بقين من ربيع الأول سنة ١٢٥ هـ (٢ : ٢٣١ : اليعقوبي) بلغ من مجونه أنه أراد أن يبني على الكعبة بيتاً يجلس فيه للهو ، ووجه مهندساً لذلك . . . (٢ : ٣٣٣ : اليعقوبي) وقد أدى أهمآكه في اللهو ومغاضبته أكابر أهله إلى قتله . (٢٥٠ : تاريخ الخلفاء) (٢) هؤلاء السبعة من أشهر المغنين :

ابن سريج : عبد الله بن سريج ، وكنيته أبو يحيى أول من ضرب بالعود على الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس . كان يقال : ما خلق الله تعالى بعد داود عليه السلام أحسن صوتاً من ابن سريج . كأنه خلق من كل قلب فهو يعني لكل إنسان .

ومعبد : هو أبو عبادة معبد بن وهب مولى بن قطر من موالى معاوية ، غنى أول دولة بني أمية ومات أيام الوليد بن يزيد الذي تولى في داره تجهيزه ودفنه ومشي متجرداً في قيص وراء وبين يدي سريره إلى قبره . وفيه يقول الشاعر :

أجاد طويس والسريجي بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد

والغريص : هو عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل أبو مروان وقد لقب بالغريص لطراوة وجهه . . سمعه الوليد بمكة وسر به ، وكانت وفاته أيام سليمان بن عبد الملك .

وابن عائشة : هو محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ولم يعرف له أب ، أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما ، وكان يفتن كل من سمعه حتى ضرب به المثل ، طرب الوليد لغنائه حتى كفر وألحد . كما أخبروا - فقال : يا غلام ، اسقنا بالسماء الرابعة . . .

وابن محرز : هو أبو الخطاب بن محرز مولى بني عبد الدار أخذ عن عزة الميلاء وابن مسجح ، وهو أحد الفحول الخمسة الذين ظهروا في الحجاز .

وطويس : هو عيسى بن عبد الله مولى بني مخزوم ، أول من غنى بالعربية في المدينة من الموالى وألقى الخنث بها .

ودحمان : عبد الرحمن بن عمر مولى بني ليث بن بكر . استقدمه الوليد فظل أثيراً عنده إلى نهايته . (انظر أخبارهم في الأغاني ، وجمهرة المغنين ، وكتب تاريخ الأدب) .

يزيد بن الوليد :

وكان يزيد بن الوليد بن عبدالمك (١) ، فلم تطل أيامه فتعرف أخلاقه ومذهبه ، إلا أنه كان يقول بالاعتزال ويحاج فيه .

مروان بن محمد :

وكان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (٢) ، فكان في أيامه كلها في لهُو ولعب ، إلا أنه أول خليفة أظهر العصبية ، وأوقعها من المنابر ، وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل ، وكان في أول أمره معلماً ، وهو أول من أطلال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب ، فاستعمل الناس ذلك بعده .

ذكر خلفاء بني العباس

أبو العباس السفاح :

ولى أبو العباس أمير المؤمنين ، وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب (٣) . وكان أول ما فعله فامثله الناس ، أنه خطب على المنبر قائماً ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، فناداه الناس : يا ابن عم رسول ، أحييت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سريعاً إلى

(١) ملك يزيد بن الوليد مستهل رجب سنة ١٢٦ هـ وكانت ولايته خمسة أشهر ، وسمى الناقص ، لأنه نقص من أعطيات أهل الحجاز . (١٣٦) : تاريخ الدول الإسلامية . و ٢ : ٣٣٥ اليعقوبي .

(٢) ملك في صفر سنة ١٢٧ هـ وكان قد سبقه إبراهيم بن الوليد فلم يلبث غير أربعة أشهر ، ومروان هو آخر خلفاء بني أمية ، وعنه انتقلت الدولة إلى بني العباس . (١٣٨) : تاريخ الدول الإسلامية .

(٣) بويغ بالخلافة سنة ١٣٢ هـ (١٥١) : تاريخ الدول الإسلامية . ١ .

الأمر بسفك الدماء (١) : فسفك له الأشعث بالمغرب ، وصالح بن علي بمصر ، وسفك خازم (٢) بن خزيمة ، وسفك خميد بن قحطبة بالعراق ، وسفك عبدالله بن علي بالشام ، وسفك داود بن علي بالحجاز ، وسفك يحيى بن محمد أخوه بالموصل ، وكان مع ذلك سمحا ، وصولا ، جواداً بالمال .

أبو جعفر المنصور :

وكان أبو جعفر المنصور ، عبدالله بن محمد (٣) ، فكان أول هاشمي أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبدالمطلب وأبي طالب بن عبد المطلب ، حتى قيل : عباسي وطالبي . وقيل : كان ذلك أمر بني هاشم كلهم . وكان أول خليفة اتخذ المنجمين ، وعمل بالنجوم ، وكان أول خليفة ترجم الكتب القديمة العجمية ، ونقلها إلى اللسان العربي ، وفي أيامه ترجم كتاب (كلبية ودمنة) وترجم كتاب السندهند (٤) ، وترجم كتب أرسطاطاليس ،

(١) من ذلك أنه كان في مجلس الخلافة يوماً وعنده سليمان بن هشام فدخل سديف الشاعر فقال :

لا يفرنك ما ترى من رجال إن تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا
فلم يلبث سليمان أن قتل . وكان عنده سبعون من بني أمية على طعام فقتلوا جميعاً لأبيات استفزه بها من يقول :

لا تقيلن عبد شمس عشارا واقطعن كل رقلة وغراس
فها أظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسي
(١٥١ : تاريخ الدول الإسلامية)

(٢) دعاه أبو جعفر المنصور مع ابراهيم بن عقيل لينطلقا في عشرة من الرجال إلى ابن هبيرة فكانت نهايته ونهاية أهله وخدمه على يد خازم ومن معه .

(٣٥٥ : الإمامة والسياسة)

(٣) تولى الخلافة : أبو جعفر لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ١٣٦ هـ .

(٤) السندهند : معناه دهر الدهور ، ينسب إلى برهم ، وهو من كتب الهند القديمة الفلك ، وقد اختصر منه الأربجهر والمجسطي .

وكتاب المحسّطى (١) لبطليموس ، وكتاب إقليدس ، وكتاب الأثرماتيقي (٢) وسائر الكتب العجمية في النجوم ، والحساب ، والطب ، والفلسفة ، وغير ذلك ، ونظر فيها الناس . وفي أيامه أيضاً وضع محمد بن إسحاق بن يسار كتب المغازى ، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة . وكان أول خليفة بنى مدينة فنزها ، ، وهي مدينة بغداد ، وأخذ له الطالع في الوقت الذي اتخذ بنيانها [فيه] (٣) فقيل له : إنه لا يموت بها خليفة .

وكان أبو جعفر قد نظر في العلم ، وروى الحديث ، وكثرت علوم الناس ورواياتهم في أيامه . وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلماينه ، وقدمهم على العرب ، فامتثلت ذلك الخلفاء من ولده بعده .

المهدى :

وكان المهدي (٤) سمحاً ، سخياً كريماً جواداً بالأموال ، وكان الناس في عصره على مثل مذهبه ، واتسع الناس في أيام المهدي في معاشهم ، وكان إذا ركب حملت معه البدر ، فلا يسأله أحد إلا أعطاه بيده (٥) . فتشبه الناس

(١) المحسّطى : كتاب لبطليموس ، في علم النجوم والحركات الفلكية اختصره من السنهتد . (١ : ١٣٣ - اليعقوبي) .
(٢) الأثرماتيقي : كتاب في علم العدد وأنواعه ، والخواص الحسابية ، ألفه نيقوماخس الحكيم الفيثاغوري ، أبو أرسطوطاليس اليوناني (١ : ١٢٣ : اليعقوبي) .
(٣) مزيد .

(٤) يوبع المهدي بمكة سنة ١٥٨ هـ « وكان المهدي شهماً ، فظنا ، كريماً ، شديداً على أهل الإلحاد والزندقة ، لا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم ، وكانت أيامه شبيهة بأيام أبيه في الفتح والحوادث والحوارج ، وكان يجلس في كل وقت لرد المظالم » (١٧٩ : تاريخ الدول الإسلامية) .
(٥) انقطع المهدي عن عسكره مع أحد خواصه في الصيد ، فجاج فأوى إلى نبطى فأطمعهما بما عنده ، فسأل المهدي صاحبه أن يقول في ذلك شعراً ، فقال :

إن من يطعم الربيضاء بالزيت وخبز الشعير والكرات
لجدير بصفعة أو بثنتين لسوء الصنيع أو بثلاث
فقال المهدي لبئس ما قلت : إنما كان ينبغي أن تقول :

لجدير بسدرة أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث
لما وافاهم العسكر والخزائن والخدام أمر للنبطى بثلاث بدر وانصرف .

(١٧٩ : تاريخ الدول الإسلامية)

به ، وكان قصده قتل الزنادقة ، وذلك أنهم كانوا قد كثروا ، وكان ابن المقفع ترجم من كتب ماني الثنوية (١) ، وكتب أيضاً في الثنوية وغيرها ، وما وضعه ابن أبي العوراء ، وحماد عجرد ، ويحيى بن زياد ، ومطيع بن إياس (٢) ، وملأوا به الأرض من كتب الملحدين ، وكثرت الزنادقة ، وفشت كتبهم في الناس . وكان أول خليفة أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب على أهل الإلحاد . وبني المسجد الحرام على ما هو عليه إلى هذه الغاية . وبني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الزلازل هدمته .

موسى بن المهدي :

ثم كان موسى بن المهدي (٣) ، فكان جباراً ، وكان أول خليفة مشت الرجال بين يديه بالسيوف المسللة والعمد ، والقسي (٤) الموترة ، فقتبه عماله به ، وذهبوا مذهبه .

(١) ماني بن فتق أوفانك ظهر زمان سابور بن أردشير ، كان مجوسياً فأحدث دينا بين المجوسية والنصرانية هو الثنوية : نسبة إلى اثنين أزليين يقودان العالم متساويين في القدم ، هما النور والظلمة خالق خير وخالق شر . وقد ترك ماني كتباً كثيرة في بيان مذهبه (٢ : ٤٩ : الملل والنحل) . و (١ : ١٥٩ : اليعقوبي) .

(٢) اتهم هؤلاء الأربعة بالزندقة والفساد ، غير أن من المترجمين من لا يذكر ابن أبي العوراء في الزنادقة .

وهو فليح ابن أبي العوراء مولى بني مخزوم من أهل مكة ، أول المغنين الذين رفع المهدي بينه وبينهم الستار فغناه مواجهة . كان من أهل العربية والشراب .

أما حماد عجرد بن عمر بن يونس فهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . شاعر متهم بالزندقة وهو من نادموا الوليد بن يزيد ، وكان بينه وبينه وبينه أهاج مقدمة .

ويحيى بن زياد بن عبيدالله الحارثي شاعر ماجن يرمى بالزندقة ، من أهل الكوفة توفي أيام المهدي العباسي .

ومطيع بن إياس الكناني شاعر ماجن متهم بالزندقة كان صديقاً لحماد عجرد توفي أيام المهدي كذلك .

(٣) هو موسى الهادي ، بويع سنة ١٦٩ هـ وكان « مثيقطاً ، غيوراً ، كريماً ، شهماً ، يداً ، شديد البطش ، جرىء القلب ، مجتمع الحس ، ذا إقدام وعزم وحزم » (١٨٩ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٤) القسي : جمع قوس : من آلات القتال . والموترة : المجهزة بشد أوتارها . استعمداً لإستعمالها .

هارون الرشيد :

ثم كان هرون الرشيد بن المهدي (١) فكان متابعاً للحج والغزو ، وبنى المصانع والقصور في طريق مكة والمدينة ، وبمكة والمدينة ، ومبى وعرفات وبنى ثمانية ثغور : مثل طرسوس وغيرها ، وبنى دوراً للمرابطين . فتشبه أهله وعماله وأصحابه وكتابه به ، فلم يبق أحد إلا بنى بمكة داراً ، وبالمدينة داراً ، وبطرسوس داراً ، تشبهاً به ، وعملاً بمثل عمله ، وكان أكثرهم لذلك فعلاً ، وأحسنهم أثراً ، زوجته أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، (٢) ثم البرامكة وزراؤه ، وغيرهم من مواليه . وكان الرشيد مع ذلك أول خليفة ضرب بالصوالة ، والطباطب ، ورمى بالنشاب (٣) في البرجاس ، وقدم أهل الخندق بذلك ، وأول خليفة لعب بالشطرنج والرد ، وقدم اللعاب ، وأجرى عليهم الأرزاق ، وأول خليفة اتخذ القيان (٤) من بنى هاشم ،

- (١) بويج هارون الرشيد بالخلافة سنة ١٧٠ هـ .
- (٢) هي زبيدة أم محمد الأمين ، هاشمية أصيلة ، حتى قيل : « لم يكن في الخلفاء هاشمي لأبوين غير علي بن أبي طالب ومحمد » الأمين بن الرشيد (٢ : ٤٣٣ : يعقوب) . وكانت من شهرات النساء فصاحة ، حتى قال المأمون ، وقد عزت نفسها به عن ابنها بعد مصرعه بأوجز عبارة وأوقع معنى : « ما تلد النساء مثل هذه ! فإذا أبقث في هذا الكلام لبلغنا الرجال ؟ » (٢١٩ : خلاصة الذهب المسبوك) .
- أعرس بها الرشيد سنة ١٦٥ هـ في خلافة المهدي ببغداد « (١٠ : ١٢١ تاريخ الأمم والملوك) :
- (٣) الصوالة : جمع صولجان وهو المحجن : عود معوج الطرف يجذب به الشيء . والطباطب جمع طباطبة : خشبة عريضة تلعب بها الكرة . والنشاب : النبل ، مفردة نشابة بانثناء .
- (٤) أخذ الرشيد يحظ من الدنيا لم ينسه عمل الآخرة ، وتاريخه حافل بالبر والصلاح وتكريم العلماء والواعظين ، والبكاء الناشئ عن سرعة التأثر كلما سمع أو رأى ما يذكر بالموت والدار الآخرة . قال الأصمعي : صنع الرشيد طعاماً ، وزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية ، وقال : صف لنا ما نحن فيه من نعم الدنيا فقال :

عش ما بدالك سالماً في ظل شاهقة القصور
فقال الرشيد أحسنت ! ثم ماذا ؟ فقال :
يسعى إليك بما اشتهيت لدى الرواح أو البكور
فقال : حسن ! ثم ماذا ؟ فقال :
فإذا النفوس تقمقت في ظل حشجة الصدور
فهنالك تم - ميقتنا : ما كنت إلا في غرور

فتشبه الناس جميعاً به ، وسلكوا سبيله ، وكان وزراؤه من البرامكة ، فكان الحسن بن خالد يحب الحكمة والكلام والنظر ، ففي أيامه كثر المتكلمون ، وجادلوا ، وناظروا ، ووضعوا الكتب ، منهم : هشام بن الحكم ، وضرار ابن عمرو ، ومعمربن عمر ، وهو أيضاً نظر في كتب الكيمياء ، فكانت البرامكة سمحاء كرماء ، أجواداً معطين مفضلين ، فتشبه عمالمهم والناس جميعاً بهم ، حتى إن أيام الرشيد كانت تسمى لكثرة من كان بها من المفضلين أيام العرس .

وأفعال البرامكة مشهورة معروفة ، ولم يكن في ناحية الرشيد إلا مفضل إما حقيقة وإما على التشبيه .

وكان الرشيد أول خليفة كتب في صدور الكتب : « وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » فامتثلت الخلفاء ذلك بعده . وأول خليفة يلبس القلنسوة الطويلة الرصافية ، وأول خليفة كتب على الأعلام السود بالبياض « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

أم جعفر :

وأما أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، فإنها كانت تريد أن تتقدم الرشيد في كل شيء من جد وهزل ، فأما الجدد فالآثار الجميلة التي (١) ليس في الإسلام مثلها : فإنها حفرت عين المشاش ، وساقته اثني عشر ميلاً إلى مكة ، وأنفقت عليها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، ثم اتخذت المصانع ، والسقايات ، والمتوضآت حول المسجد الحرام ، وبنت دور السبيل ، ومصانع بنى وعرفات ، وسقايات ، وحفرت آباراً في منى على طريق مكة ، ووقفت على ذلك ضياعاً غلتها ثلاثون ألف دينار في السنة ، وبنت في الثغور دور السبيل ، وعملت البيمارستانات ، وحبست ضياعاً على الثغور ، وعلى الفقراء والمساكين ، غلتها مائة ألف دينار .

فبكى الرشيد ، فقال الفضل بن يحيى : بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته ، فقال الرشيد : دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه (١٩٣ : تاريخ الدول الإسلامية وأحاديث الوعاظ معه كثيرة رائقة .
(١) في الأصل : (الذي) .

وأما ما يتلین به الملوك وینعمون به ، فهی أول من عمل فی الإسلام الآلة من الذهب والفضة المكکلة بالجوهر ، واتخذت رفیع الوشی ، حتی بلغ ثوب وشی عمل لها خمسين ألف دينار ، وأول من اتخذ الشاکرية من الخدم والجواری : یرکون الدواب ویتخلفون برسائلها وکتبها . وأول من عمل القباب بالفضة والآبنوس والصندل ، ورايتها وکلایبها من الذهب والفضة ، ملبسة الوشی والسمور (١) والديباج ، والخز والملحم والديبقي ، وأول من اتخذ القمص اللؤلؤ مفصلة بالجواهر وشمع العنبر ، وتشبه الناس بأم جعفر فی جميع أفعالها .

محمد الأمين :

وكان محمد الأمين بن الرشيد (٢) ، وأمه أم جعفر ، فقدم الخدم وآثرهم ، ورفع منازلهم ، فلما رأته أم جعفر [اصطفاه] (٣) الخدم ، اتخذت الجوارى المعدودات الحسان الوجوه ، فطرت (٤) روعسهن ، وجعلت لهن الطرر والأصداع وشعور الأقباء ، وألبستهن الأقبية والمناطق (٥) . وكانت

(١) السمور : کتنور فراء شمیة تؤخذ من دابة بهذا الاسم .

(٢) بویع له سنة ١٩٣ هـ للنصف من جمادى الآخرة (١٠ : ١٢٤ - تاریخ الأم والملوك)

وحین عهد إليه الرشيد قال : ساءم الخاسر وكان الأمين ابن خمس سنين .

قد وفق الله الخليفة إذ نبى بيت الخلافة للهجان الأزهر

فهو الخليفة عن أبيه وجده شهدا عليه بمنظر وبمخبر

قد بايع الثقلان في مهد الهدى محمد بن زبيدة ابنة جعفر

(١٠ : ٥٣ - تاریخ الأم والملوك)

اشتغل الأمين عن الخلافة وتبعاتها الجسم «... طلب الحصيان وابتاعهم ، وغالى بهم ، وصبرهم لخلوته في ليله وهماره ، وقوام طعامه وشرابه ، وأمره ونهيه... ووجه إلى جميع البلدان في طلب المهلين ، وضممهم إليه وأجرى عليهم الأرزاق... واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقواده واستخف بهم ، وقسم ما في بيوت المال وما بحضرته من الجوهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه... (١٠ : ٢١٥ - تاریخ الأم والملوك)

(٣) بدل من لفظ غامض .

(٤) الطرة بالضم... أن تقطع للجارية في مقدم ناصيتها كالعالم تحت التاج (القاموس

لحيط) .

(٥) المناطق : جمع منطقة أو منطق على وزن مكنسة أو منبر ما يشد به الوسط . والأقبية :

جمع قباء بفتح القاف ثوب خارجي ذو شكل معين كالجبية .

ول من فعل ذلك ، وبعثت بهن إليه ، وأبرزتهن للناس ، فاتخذ الناس من الخاصة والعامه الجوارى المطرورات ، وألبسوهن الأقبية والمناطق ، وسموهن الغلاميات (١) ، وقصرت أيام محمد حتى قتل .

المأمون :

وكان المأمون أمير المؤمنين ابن الرشيد (٢) ، فكان في أول خلافته يغلبه الفضل (٣) ، يستعمل النجوم والنظر فيها ، ويذهب مذاهب ملوك الفرس ، ويشتهي قراءة الكتب القديمة ، فلما قدم العراق اطرح ذلك ، وأظهر القول بالعدل والتوحيد ، وجالس المتكلمين ، والفقهاء ، والأدبا وأقدمهم من البلدان ، وأجرى لهم الأرزاق ، فكبر المتكلمون في أيامه . ووضع كل امرئ كتاباً ينصر قوله ويرد على من خالفه ، وكان أكرم الناس عفواً ، وأشفقهم (٤) مقدره ، وأجودهم بالمال ، وأبذلهم للعطايا ،

فأما عفوه : فإنه عفا عن إبراهيم بن المهدي وقد خلعه إبراهيم بعد أن كان عامله على البصرة ، ودعا لنفسه ، وتسمى بأمر المؤمنين ، وحارب أصحابه . وعفا عن الفضل بن الربيع ، وهو الذي كان حمل محمداً (٥) على خلعه من ولاية العهد ، ووجه الجيوش لمحاربتة ، ثم أعطاه الأمان فنكث ودعا الناس إلى البيعة لإبراهيم بن المهدي . وعفا عن سليمان بن أبي جعفر ابن سليمان وقدخلعه وقال فيه أقبح القول . وعفا عن نعيم بن خازم وقد أقام يحاربه عدة سنين . وعفا عن عيسى بن محمد بن أبي خالد - وقد نكث ببيعتة مرة بعد أخرى وحارب أصحابه - حتى صار صاحب شرطته ، وعفا عن

(١) نسبة إلى الغلام للمشابهة في المظهر .

(٢) بويغ له ، البيعة العامة ببغداد سنة ١٩٨ هـ .

(٣) الفضل بن الربيع من أعظم رجال الأمين ثم المأمون بعد عفوه عنه .

(٤) مكان (أشفقهم) غير واضح في الأصل .

(٥) هو محمد الأمين أخو المأمون .

سهل بن سلامة المطوعي ، وكان يلبس الصوف ، ويعلق المصحف في عنقه ، ويأمر الناس بخلع المأمون ، وألا يعطيه أحد طاعة . وعفا عن مهدي بن علوان الساري ، وقد تسمى بأمر المؤمنين ، وحارب أصحابه ، فظفر به بغير عصمة ولا أمان . وعفا عن دعبل الشاعر وقد هجاه بأقبح هجاء (١) . وعفا عن عبيد الله بن السري بن الحكم المتغلب على مصر ، وقد أقام يحاربه عدة سنين . وعفا عن محمد بن جعفر بن محمد العلوي وقد خرج بمكة وتسمى بأمر المؤمنين .

وعفا عن زيد بن موسى بن جعفر ، وقد خرج بالبصرة وخلع المأمون .

وعفا عن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي ، وقد خرج باليمن وحارب الجلودي (٢) . وعفا عن جميع المتغلبين : مثل رباح بن أبي دمنة المتغلب بديار ربيعة ، والعباس بن زفر الهلالي ، المتغلب بقورس من جند قنسرين ، ونصر بن شبت العقيلي ، المتغلب بديار مصر ، مع محاربه أياماً ، وعن عثمان بن ثمامة العبسي الخارج عليه بالحجاز ، وعن الحوازي ابن حنطان التنوخي ، الخارج محاصر تنوخ . وعن غير هؤلاء ممن لو ذكرناه لطال الكتاب . وقال : حيب إلى العفو حتى ما أراني أوجر عليه ! (٣) .

وأما الجود والسماحة فإنه أمر في يوم واحد لثلاثة نفر بألف وخمسةائة ألف دينار ، لكل واحد خمسمائة ألف دينار . وقل المال في بيت المال ،

«(١) من هجاء دعبل للمأمون قوله :

إني من القوم الذين سيوفهم
شادوا بذكرك بعد طول خوله
قلما بلغه لم يزد على أن قال : قاتله الله ما أشد بهتانه ! متى كنت خاملاً وفي حجر الخلافة
نشأت وبدرها أرضعت ؟ .

(٢٠ : تاريخ الدول الإسلامية)

(٢) هو عيسى بن يزيد الجلودي من قواد الجيش في دولة المأمون .

(٣) تميمه فيما نقلوا : « ولو علم الناس حبي للعقول تقربوا إلى بالجرائم » (١٩٢ : خلاصة

الذهب المسبوك) .

فجمع أصحابه وقال : إنه قد قل وأضر ذلك بنا وبأوليائنا ، فاستقرضوا لنا من التجار مقدار عشرة آلاف درهم إلى أن تأتي الأموال فنردها . فقام غسان بن عباد فذكر ما أنعم به عليه ، وعرض ثلاثين ألف ألف درهم ، وقال : هي حاصلة عندي . وقام حميد بن عبد الحميد الطوسي وقال مثل ذلك . وقام من حضر من أصحابه فعرض ما عنده ، حتى بلغ ما عرضوا عليه مائة ألف ألف (١) وستة وخمسين ألف ألف درهم ، فلم يقبل من أحد منهم شيئاً وجزاهم (٢) الخير .

وتأخرت الأموال ، وبشر بموافاة مال خراج فارس ، فركب ينظر إليه ، ثم فرقه كله ، فلم يبق إلا مقدار عطاء الجند ، فأمر المعلى بن أيوب بقبضه .

وكان أصحابه ، ووزراؤه ، وكتابه ، وقواده ، يتقيلون (٣) فعله ، ويسلكون سبيله ، ويذهبون مذهبه . فمنهم : الحسن بن سهل ، وكان أكرم الناس وأجودهم وأكثرهم إفضالاً ، وأجملهم لنازلة فادحة ، وأصبرهم على إعطاء كل من سأله (٤) وكان حميد بن عبد الحميد الطوسي جواداً سمحاً مفضلاً ، ووقف ضياعاً غلتها في السنة مائة ألف دينار على أهل البيوتات وذوى الأقدار ، وكان لا يرد أحداً .

(١) في الأصل (وستا) .

(٢) دعا لهم أن يجزيهم الله الخير .

(٣) في القاموس : تقيل أباه : أشبهه ، والمراد : يتشبهون به في فعله .

(٤) وقف بباب الحسن رجل يلتصق بصلته ، فاشتغل عنه قليلاً بهمهم له ، فكتب الرجل إليه :

المال والعقل مما يستعان به على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم أني منهما عطل إذا تأملتني يا ابن الدهاقين
أما تلك أثوابي على عدى والوجه أني رئيس في المجانين
والله يعلم ما للملك من رجل سواك يصلح للدنيا وللدين

نأمر له بعشرة آلاف درهم ، ووقع في رقته :

أعجلتنا فأناك عاجل برنا قلا ، ولو أنظر تنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تمل ونكون نحن كأننا لم نسأل

وكان غسان بن عباد سمحا : فرق في يوم واحد ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، وكان إذا سأله أحد حاجة يكلم فيها المأمون أعطاه من ماله وكلم المأمون .

وكان عبدالله بن طاهر عظيم المروعة ، حسن الاحتمال ، حسن الإجمال : أمر في يوم واحد لثلاثة من أصحابه بثلاثمائة ألف دينار ، لكل واحد بمائة ألف دينار ، ولثلاثة نفر بمائة وخمسين ألفا ، لكل واحد بخمسين ألف دينار . وكان على بن هشام أسمح الناس ، وأحسنهم مروعة ، وكان مطبخه يحمل إذا سافر على سبعمائة بعير . وكان أحمد بن يوسف كاتبه عظيم المروعة ، وكان الناس عامة على أخلاق محمودة .

وشغب الجند ببغداد فكثرت ضجيجهم لتأخر أرزاقهم ، فخرج إليهم فرج الرحيمى فضمن لهم أرزاق سنة ، ثم دفعها إليهم من ماله .

وكان [المأمون] (١) أول خليفة كتب على علوانات كتبه « بسم الله الرحمن الرحيم » وأول خليفة صير ديوان العرض للجند ، وأول خليفة أرخ الكتب باسم كاتبه وإنما كانت تؤرخ باسم المحرر . . . (٢) هذه الرسوم .

المعتصم :

ثم كان المعتصم ، وهو محمد بن هرون الرشيد (٣) ، فسلك في المقالة في

(١) مزيد لطول الفصل .

(٢) بالأصل كلمة مبهمة ، وفي المناسبة يقول هلال بن الحسن : « وشاهدت كتاباً بخط المأمون - صلوات الله عليه - وفي آخره : وكتب أمير المؤمنين بيده . ثم اعتدت هذه الحال منزلة فيها نباهة وجلالة فأضافها الوزراء إلى نفوسهم وجعلوا ما يصدر من الكتب تولوها أو تولوها كتابهم عنهم بأسمائهم . . . » .

ص ١٢٤ رسوم دار الخلافة لأبي الحسن هلال ابن الحسن الصابي - بتحقيق ميخائيل عواد

بغداد ١٩٦٤ .

(٣) بويع للمعتصم لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ هـ وكان المعتصم ظاهر الخزم والمناب وإعزاز الدين ، وكان له في خلافته فتوح لم تكن لأحد من الخلفاء ، وهي ثمانية بلدان منها عمورية ، وقتل ثمانية ملوك لكل منهم معه خبر طريف يطول بيانه . قيل : لم يكن في بني العباس من قبله أشجع منه ولا أتم تيقظاً في الحرب ولا أشد قوة ، وكان يلوى العمود الحديد حتى يصير طوقاً ، ويشد على الدينار بإصبعه فيمحو كتابته . (٢٢١ : خلاصة الذهب المسبوك) .

الدين مذهب المأمون ، وكان الذي غلب عليه الفروسية والتشبه بالعجم ، فلبس الثياب الضيقة الأكمام ، فضيق الناس أكمام ثيابهم ، ولبس الخفاف الكبار ، والشاش المربعة . وكان أول من لبس شاشية مربعة ، فلبسها الناس تشبهاً به ، ونسبت إليه . فقيل (١) : الشاش المعتصمية ..

وكان أول خليفة ركب السروج المكشوفة ، واتخذ الآلات العجمية ، فتشبه الناس به ، ولم يكن في عصره من وزرائه ، وقواده ، وكتابه ، من يوصف بإعطاء ولا جود ولا احتمال إلا الحسن بن سهل على تقاصر أحواله ، وابن أبي دؤاد ، فإنه كان ذا فضل ومعروف كثير ، وكان ابن أبي دؤاد غالباً على أمره ، مقدماً عنده .

الوائق :

ثم كان هرون الواثق بن المعتصم (٢) ، فكان مذهبه في الدين والقول بالعدل والتوحيد على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون ، وأظهر ذلك ، وامتنح عليه ، وعاقب من خالفه ، وحبس من أبدى عناداً فيه ، وكتب إلى القضاة في الآفاق أن يمتحنوا العدول فلا يقبلوا شهادة من لم يقل بقوله ، فغلب هذا على الناس ، وتقربوا به إلى ابن أبي دؤاد ، وإلى القضاة ، ولم يكن في عصره من يفزع إليه إلا ابن أبي دؤاد .

وكان الواثق كثير الأكل واسع الطعام ، كثير الصدقات ، متفقداً لأهل بيته في كل بلد .

(١) في الأصل : (وقيل) .

(٢) ولي الواثق لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ .

(٢ : ٤٧٩ - اليمتقون)

كان يتشبه بعمه المأمون في أخلاقه وكرمه وحلمه ، لأنه هو الذي رباه ، فتقيل أفعاله وحق بالناس وأحسن إلى العلويين ، وكان حسن الفكر في صلاح الرعية ، حافظاً حق من خدمه يتجاوز عن هفواته . (٢٢٢ : خلاصة الذهب المسبوك)

جعفر المتوكل :

ثم كان جعفر المتوكل بن المعتصم (١) ، فأبطل ما كان يقول به الواثق ، وأظهر القول بالسنة والجماعة ، وأطلق من كان في المحابس ممن حبس بسبب عدوله عن القول بخلق القرآن ، ونهى عن الجدل ، وأمر كل من أطلقه من المحدثين أن يتحدثوا ، فترك الناس تلك (٢) المقالة ، وأنكرها من كان يقول بها ، وارتفع الجدل والمناظرة ، وكان مما أحدثه بناء الحبوس والأروقة التي عليها الأبواب ، فبنى الناس جميعاً بسر من رأى هذا البناء . وآثر لبس الثياب الملحم على جميع الثياب ، فكان لباسه ولباس كل من في داره من كبير وصغير ، وارتفع ثمن الملحم في أيامه لجودتها . وكانت أيامه أياماً حسنة ناضرة كثيرة الخير ، على أنه أول خليفة أظهر العيب ، وأطلق في مجلسه الهزل والمضحك ، وأشياء تركنا ذكرها ذاعت في الناس واستعملوها وجروا فيها .

ولم يكن المتوكل ممن يوصف بإفضال ولا جود ، وكان الفتح بن خاقان أغلب الناس عليه ، وأشدهم تقدماً عنده ، ولم يكن ممن يرجى فضله ولا يخاف مكروهه . وكان عبدالله بن يحيى بن خاقان وزيره ، وكان طالباً للسلامة ، له مروءة في نفسه ، ولا إفضال له على أحد ، إلا أن الناس آمنون منه المكروه ، وكان يعتد عليه بقول لاحقيقة له ، فكان أحمد بن إسرائيل (٣) يقول : تعملنا منه الكذب .

(١) ولي المتوكل الخلافة لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢ هـ نهي عن الكلام في القرآن وأطلق من كان في السجون من أهل البلدان ومن أخذ في خلافة الواثق جميعاً ، فخلاهم وكساهم ، وكتب إلى الآفاق ينهاهم عن المناظرة والجدل فأمسك الناس . (٢ : ٢٨٤ - يعقوب) .

(٢) مقالة العدل والتوحيد .

(٣) أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري أحد الكتاب الخذاق الأذكياء ، كان يحفظ وجوه المال دخلاً وخرجاً ، وزر للمعتز وحبس ثم ، أفرج عنه ثم ضرب حتى مات .

محمد المنتصر :

وكان محمد المنتصر بن المتوكل (١) ، فلم تطل أيامه فتعرف مذاهبه ، غير أنه كان بخيلاً ، وكان أحمد بن الحصيب (٢) كاتبه ووزيره ، فكان قليل الخير ، كثير الشر ، شديد الجهل .

المستعين :

وكان المستعين : وهو أحمد بن محمد بن المعتصم (٣) ، فكان أول خليفة وسع أحكام الثياب ، فجعلها ثلاثة أشبار ونحوها ، وصغر القلانس وقصرها ، ولا يعرف له مذهب اتبعه الناس عليه ، ولا أخلاق يشبه الناس به فيها ، وشغل عن كل شيء بما تهيأ عليه من المخالفة والخلع .

المعتز :

وكان المعتز : وهو أبو عبدالله (٤) بن المتوكل ، أول خليفة ركب بحلية الذهب ، وكانت الخلفاء تركب بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف والسروج واللجم ، فلما ركب بحلية الذهب اتبعه الناس على ذلك ، ولم تعرف له أخلاق تحمد ولا تذم .

(١) ولي المنتصر منذ قتل أبوه في أربع من شوال سنة ٢٤٧ هـ وكان شيعياً ، ومن شعره :
مضى ترفع الأيام من قد وضعنه وينقاد لي دهر على جموح
أعلل نفسي بالرجاء وإنما لأغشو على ما ساهى وأروح
(٢) قالوا : كان مقصراً في صناعته ، مطعوناً عليه في عقله ، ذا حدة وطيش ، ألح عليه طالب حاجة وهو راكب ، فأخرج رجله من الركاب فركله في صدره فقال بعض الشعراء :
قل للخليفة : يا ابن عم محمد أشكل وزيرك إنه ركال
قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجله عند الصدور مجال
(٣٩٩ : تاريخ الدول الإسلامية)

(٣) ولي الخلافة لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٨ هـ .
(٤) بويغ لسبع خلون من المحرم سنة ٢٥٢ هـ (٢ : ٥٠٠ - اليعقوبي) لم يكن بسيرته ورأيه وعقله بأس ، إلا أن الأتراك استولوا على كل شيء حتى أصابه مصرعه بقسوتهم سنة ٢٥٥ هـ (٢٤٣ : تاريخ الدول الإسلامية) .

المهتدى :

ثم ولى المهتدى (٢) ، وهو محمد بن الواثق ، فذهب إلى القضاء في الدين ، وجلس للمظالم ، ووقع بخطه ، وقرب الفقهاء . وكان يقول : يا بنى هاشم ، دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز ، فأكون فيكم مثله في بنى أمية ، وتقلل في اللباس والفراش ، وتوهم الناس عليه أنه يذهب مذهب أبيه في القول بخلق القرآن .

المعتمد :

والمعتمد ، وهو أحمد (٣) بن المتوكل ، فإنه لم تطل أيامه حتى غلب على أمره فأثر اللذة ، واعتكف على الملاهي ، وغلب أخوه أبو أحمد على الأمور حتى حظر عليه وحبسه ، وكان أول خليفة قهر وحجر عليه وحظر .

المعتضد :

ثم كان المعتضد ، وهو أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل فكان رجلاً شهماً حازماً (٣) .

(١) كانت البيعة له لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ هـ . جاهد للتخلص من سلطان الأتراك ، ولكنهم تغلبوا عليه حتى أصيب بجراح أعقبها موته ، لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ هـ (٢ : ٥٠٦ - اليعقوبي) .

(٢) بويغ المعتمد سنة ٢٥٦ هـ وكان مستضعفاً ، وكان أخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على أموره ، إذ كانا كالشريكين في الخلافة : للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بأمر المؤمنين ، ولأخيه طلحة الأمر والنهي (٢٥٠ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن الأمير بن أبي أحمد طلحة الموفق بن جعفر بن المتوكل ، بويغ يوم الاثنين ثاني عشر رجب سنة ٢٧٩ هـ وكان ذا رأي وحزم وشجاعة وعدل في الرعية وإلزام لحاصته بالزمام الطريقة المثل خوفاً من العقاب . وشاع ذلك في الأجناد حتى سلكوا أحسن مسلك وحج وغزا وفضائله كثيرة وآثاره عظيمة . سمي السفاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس « توفى المعتضد ليلة الإثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين في قصره المعروف بالحسنى بمدينة السلام » (٢٣٥ : خلاصة الذهب المسبوك) .

هذا ما انتهت به المخطوطة ، ويكون المعتضد قد عاش بعد وفاة المؤلف ما يقارب خمس سنوات ، إذا صح أن وفاة اليعقوبي كانت سنة ٢٨٤ هـ ، كما أنه لو صح ذلك يكون قد عاصر المعتضد مثل هذه المدة ، والله أعلم بالصواب ، وله الحمد في الأولى والآخرة وهو العزيز المحقق .

الحكيم

التعريف والنقد

لقاء بين شاعرين

بهاء الدين زهير وابن سعيد المغربي

تحقيق د. سعيدة محمد رمضان

في هذا النص لقاء بين شاعرين يأتيان في الطليعة من بين أدباء عصرهما ، أما أولهما فهو بهاء الدين زهير « ٥٨١ هـ أو نحو ذلك - ٦٥٦ هـ » ، الذي يعد في نظر كثير من مؤرخي الأدب شاعر عصره بلا منازع ، وسيجيء عنه في النص ما يجعلنا في غنى عن الإشادة به ، وأما ثانيهما على بن موسى بن محمد ابن عبد الملك بن سعيد ٦١٠ هـ - ٦٨٥ هـ ، فإن شهرته كمؤرخ وجغرافي ورحالة طغت على شهرته كأديب شاعر ، والناس حين يذكرونه يقرنون اسمه في العادة بكتابه « المغرب في حلي المغرب » الذي طبعت منه أجزاء عديدة ، وكذلك « المشرق في حلي المشرق » - ولا يزال مخطوطاً - و« الغصون الياقنة في محاسن شعراء المائة السابعة » و« عنوان المرقصات والمطربات » و« بسط الأرض في الطول والعرض » و« القدح المعلى في التاريخ المحلى » و« رايات المرزبين وغايات المميزين » الخ .

وترجم ابن سعيد لنفسه في كتابه « المغرب » ج ٢ ص ١٧٢ وما بعدها

فقال :

« هو مكمل لتصنيف هذا الكتاب . ولد بغرناطة في شوال سنة عشر وستائة ورحل منها فجال مع أبيه في بر الأندلس وبر العدو والمغرب الأوسط وإفريقية إلى الإسكندرية وترك والده بالإسكندرية ورحل إلى القاهرة ثم عاد إليها فحضر وفاته ثم رجع إلى القاهرة ثم رحل إلى حلب في صحبة صاحب الكبير المحسن كمال الدين بن أبي جرادة ثم عزم على الحج في هذه

السنة وهي سنة سبع وأربعين وستمائة . . . » وذكر نماذج من شعره تنتهي عند ص ١٧٩ .

وقد ترجم له شوقي ضيف ترجمة ضافية في صدر طبعة المغرب وبخاصة ص ٥ - ونقل أقوال العلماء فيه كقول لسان الدين بن الخطيب :

« هذا الرجل وسطى عقد بيته وعلم أهله ودره قومه ، المصنف الأديب الرحالة الطرفة الإخبارى العجيب الشأن فى التجول فى الأقطار ومداخلة الأعيان للتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية . »

وقبيل الرحلة التى ذكرها هو - أى قبيل الذهاب لحلب - تقابل فى القاهرة مع البهاء زهير ومع غيره من أدباء المشرق مثل ابن مطروح وابن أبى الإصبع وابن سابق وموسى بن يغمور - نائب السلطنة - وقد ألف له ابن سعيد كتابه « رايات المرزبن وغايات المميزين » .

ثم تقابل ابن سعيد مع العالم الحلبي الشهير كمال الدين عمر بن إبراهيم ابن أبى جراة « المعروف بابن العديم » وكان قد حضر للقاهرة رسولا من الملك الناصر إلى الصالح نجم الدين أيوب ، سلطان مصر ، فأغراه بالرحلة إلى حلب وأقام فيها من ٦٤٤ - ٦٤٧ هـ ثم اتجه فى هذا التاريخ لدمشق وأصبح فيها من ندماء توران شاه ثم اتجه فى السنة التالية لبغداد ماراً بأرمينية وأرجان ، ثم عرج على الأراضى الحجازية لأداء فريضة الحج ، وعاد بعدها إلى المغرب حيث عمل فى خدمة المستنصر « ٦٤٧ - ٦٧٥ » .

وقد تخللت هذه الرحلة الأخيرة رحلة ثانية للمشرق ، عاد بعدها إلى تونس وتوفى هناك سنة ٦٨٥ بحسب ما يقرره عدد من المراجع المغربية .

وفى بعض المصادر كالمنهل الصافى لابن تغرى بردى أنه توفى بدمشق سنة ٦٧٣ والأول أرجح والنص الذى ننشره الآن يرتكز أساساً على كتاب صلاح الدين الصفدى « الوافى بالوفيات » ويتضمن موقفاً بين بهاء الدين

زهير وابن سعيد نقلا عن كتاب «الغراميات» لابن سعيد وهو كتاب يعد في حكم المفقود الآن .

وقد جاء في أطروحة السيد محسن حامد العبادى : « ابن سعيد المغربى حياته وتراثه الفكرى » - القاهرة ١٩٧٢ - ص ٢٥٤ تحت عنوان «الغراميات» :

« وهذا الكتاب لم يصلنا منه إلا النصوص التى نقلها أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) فى المنهل الصافى تحت ترجمة الصاحب بهاء الدين زهير » وهذا القول فيه شىء من عدم الدقة لأن الذى جاء فى « المنهل الصافى » منقول بتمامه - فى الحقيقة - من الوافى بالوفيات .

ونضيف أن فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ١٠ تلخيصاً لموقف المقابلة بين بهاء الدين زهير وابن سعيد على نحو يدل على أن ابن حجة رجع فيه بدوره إلى كتاب الصفدى .

ولا نجد فى غير « الوافى بالوفيات » « ومن نقل عنه مثل ابن تغرى بردى فى « المنهل الصافى » وابن حجة فى « الخزانة » حديثاً يستحق الذكر عن علاقة ابن سعيد بالبهاء زهير ، وكل ما نجده فى موسوعة المقرئ « نفح الطيب » ج ٣ ص ٣٩ طمحي الدين عبد الحميد » لمحة عابرة خلال الحديث عن رحلة ابن سعيد للمشرق :

« ولقى بمصر أيدمر التركى والبهاء زهير وجمال الدين بن مطروح وابن يغمور وغيرهم ، ورحل صحبة كمال الدين بن العديم إلى حلب » .

* * *

المنهج الذى اتبعناه فى تحقيق هذا النص :

(أ) فى الترجمة لحياة البهاء زهير جعلنا المعول على ما أورده ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى إذ أنه أكثر إيجازاً مما جاء فى الوافى بالوفيات .

(ب) ذكرنا في نفس الوقت بالهامش مستهل الترجمة المفصلة التي قدمها صاحب الوافي بالوفيات .

(ج) حين يصل الحديث إلى ما دار بين البهاء وابن سعيد فإننا نتخذ من الوافي بالوفيات أصلاً ونقابله على المنهل الصافي ، إذ أن الصفدى أقدم من ابن تغرى بردى ، والنص الذي في المنهل اعتمد أساساً على النص كما يجيء في الوافي بالوفيات مع الأخذ بالرواية الأصح عندما تتطلب القراءة ذلك .

(د) كان المعول في التحقيق على النسخة المخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس من الوافي بالوفيات مخطوطة رقم ٢٠٦٤ ، ورقة ٨٩ وما بعدها « ورجعنا فيما يتصل بكتاب المنهل الصافي إلى مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس » رقم ٢٠٦٠ ، ورقة ٨٥ وما بعدها .

[النص]

زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر ، الأديب البارع
الكاتب بهاء الدين أبو العلاء الأزدي المهلبى المكي ثم القوصى المصرى
الشاعر .

ولد سنة إحدى وثمانية وخمس مائة ، وتوفى سنة ست وخمسين وست
مائة ، ومولده بمكة وسمع من علي ابن أبي الكرم البناء (١) وغيره ، وله ديوان
مشهور .

قال بعض الفضلاء :

« ما تعاتب الأصحاب ولا تراسل الأحياب بمثل شعر البهاء زهير وشعره
فى غاية (٢) الانسجام والعذوبة والفصاحة وهو السهل الممتنع » فهو كما
قال فيه سعد الدين محمد بن عربى (٣) :

لشعر زهير فى النفوس مكانة فقد حاز من ألبابها وافر الحظ
لقد رق حتى قلت فيه لعله يحاول إبراز المعانى بلا لفظ

وكان رحمه الله كاتباً كريماً نبيلاً جميل الأوصاف حسن الأخلاق ،
طويل الروح ، حلو النادرة .

وكان فى مبادئ أمره خدم الملك الصالح أيوب ، وسافر معه إلى الشرق ،
فلما ملك الملك الصالح الديار المصرية رقاها إلى أرفع المراتب ، ونفذه رسولا
إلى الملك الناصر صاحب حلب يطلب منه أن يسلم إليه عمه الملك الصالح
إسماعيل ، فقال : كيف أسيره إليه ، وقد استجار بي وهو خال أبى ليقته ؟
فرجع البهاء زهير إلى الملك الصالح بذلك فعظم على الصالح ، وسكت
عن حنق .

ولما كان الملك الصالح مريضاً بالمنصورة في حصار الفرنج لها تغير على البهاء زهير وأبعده لأنه كان كثير التخيل والغضب والمعاقبة على الوهم وكانت السيئة عنده ما تغفر .

ولما مات الملك الصالح اتصل البهاء زهير بخدمة الملك الناصر صاحب الشام ، وله فيه غرر مدائح ، ثم رجع إلى القاهرة ولزم داره يبيع كتبه وموجوده حتى انكشف حاله بالكلية .

وكان البهاء فيما قيل ، أسود اللون ، قصيراً بذقن مقرطمة صغيرة ، فكان يسلك مسلك ابن الزبير (٤) في وضع الحكايات على نفسه حدقاً منه لثلاث يدع للناس عليه كلاماً ، من ذلك أنه حكى مرة لجماعة الديوان قول :

« جاءت اليوم إلى امرأة ما رأيت عمرى أحسن منها ، وراودتني على ذلك الفعل ، فلما كان ما كان أردت أن أدفع إليها شيئاً من الذهب قالت : ما فعلت هذا من حاجة ، ولكن رأيت عمرى أحسن مني ؟ فقلت لا . فقالت : إن زوجي يدعني ويميل إلى واحدة ما رأيت عمرى أوحش منها فلما عدلته ونهيته وما انتهى أردت مكافأته . وقد فتشت هذه المدينة فلم أر فيها أوحش منك ، ففعلت معك مقابلة لزوجي . فقلت لها : ها أنا ها هنا كلما اجتمع زوجك بتلك تعالي أنت إلى » انتهى .

قلت ومن شعره :

أغصنَ النَّقالولا القوامُ المهفهُفُ	لما كان يهواك المعنى المعنْفُ
ويا ظبيُّ لولا أن فيك محاسناً	حكينَ الذي أهوى لما كنتَ توصفُ
كلِفتُ بغصنٍ وهو غُصنٌ مُمنطقُ	وهمتُ بظبيِّ وهو ظبيُّ مُشَنَّفُ
ومما دهاني أننى من حياتهِ	أقولُ : كليلُ الطرفِ وهو مضعفُ
ياظبيُّ هلاً كان منك التفاتهُ	وياغصنُ هلاً كان منك تعطفُ

وياحرم الحُسنِ الذي هو آمِنُ
عسى عطفةً للوصلِ ياواوُصدغِهِ
أأحببنا أما غرامِي بعدكم
أطلتم عتابِي في الهوى فتطولوا
ووالله ما ارقتكم عن ملالةٍ
وجهدى لكم أنى أقولُ وأحلفُ
ومن حوله ألبأنا تتخطفُ
وحقكُ إنى أعرف الواو تعطفُ
فقد زاد عما تعرفون وأعرفُ
فبى كلفُ فى حملهِ أتكلفُ

ولهُ فى سيف :

برسم الغزاة وضربِ العداة
تراه إذا اهتز فى كفه
بكف همامٍ رفيعٍ الهيمم
كخاطفِ برقٍ سرى فى ديمم

نقلت من خط الأديب على بن سعيد المغربى ما ذكره فى أول كتابه
الغزائيات له : ثم طرقت البلاد مقطعات للبهاء زهير الحجازى الأصل
المصرى الدار ، أنست ما تقدم ، وقالت : كم غادر الشعراء من مردم ، وكان
مما لعب بخاطرى لعب الرياح بالغصون ، وتمكن منه تمكن العيون الدعج
من الفؤاد المفتون شعره الذى أوله :

تعالوا بنانطوي الحديث الذى جرى
تعالوا بنا حتى نعود إلى الرضى
فلا سمع الواشى بذاك ولادري
وحتى كأن العهد لن يتغيرا
ولا تذكروا الذنب الذى كان بيننا
على أنه ما كان ذنباً فيذكرنا

وحملنى الشغف بطريقة هذا الرجل ، على حفظ ما يرد من شعره
على أفواه الواردين من الشرق ، إلى أن جمع الله بينى وبينه بالقاهرة
حاضرة الديار المصرية :

فقل فى منهلٍ عذبٍ
تمكن منه عطشانُ

ثم كانت المؤانسة ، فكادت أصعق لما أنشدني قوله ، وما وجدت
روحي معي البتة :

رويذك قد أفنيتَ يابينُ أدمعي وحسبك قد أحرقتَ يا وجدُ أدمعي
إلى كم أقاسى لوعةً بعد لوعةٍ وحتى متى يابينُ أنتَ معي معي
وقالوا علمنا ما جرى منك بعدنا فلا تظلموني ما جرى غيرُ أدمعي
رعى اللهُ ذاك الوجه حيثُ توجهوا وحيته غنى الشمسُ في كلِّ مطلعٍ
وياربُ جدُّ كلما هبتَ الصبا سلامي على ذاك الحبيبِ المودعِ
قفوا بعدنا تلقوا مكانَ حديثنا به أرجُ كالمندلِ المتضوعِ (١٠)

وقلت له وقد أعجبه انفعالي لما صدر عنه من هذه المحاسن الغرامية :

« يا سيدي لا يمضي اعتقادي فيكم منذ مدة طويلة وأنا بالمغرب الأقصى
ضائعا ، والغرض كله التهذيب الموصل إلى ما يتعلق بأهداب طريقتكم ،
فقد علمتم أن مهيار من عجم الديلم لما شرب من ماء دجلة والفرات وصحب
الشريف الرضي نمت أشعاره من خلال أشعاره فتبسم وقال :

ما تنزلت أنت إلى أول طبقة مهيار ولا ترفعت أنا إلى طبقة الشريف
(الرضي) لكن كل زمان له رؤساء وأتباع في كل فن ، وأن تكونوا
صغار قوم فستكونوا كبار قوم آخرين . واعلم بأنك نشأت ببلاد ولع شعراؤها
بالغوص على المعاني ، وزهدوا في عنوبة الألفاظ والتلاعب بمحاسن صياغتها
المكسوة بأسرار الغرام وطريقة المغاربة في مثل قول ابن خفاجة :

وعشيَّ أنسٍ أضجعتنا نشوةً فيها تمهَّدُ مضجعي وتدمتُ
خلعتُ على بها الأراكةُ ظلها والغصنُ يُصغي والحمامُ يحدثُ
والشمسُ تجنحُ للغروبِ مريضة والرعدُ يبرقُ والغمامةُ تنفثُ

وقول الرصافي :

غُزِيلٌ لَمْ تَزَلْ فِي الْغَزْلِ جَائِلَةً بِنَانُهُ جَوْلَانُ الْفَكْرِ فِي الْغَزْلِ
جَدْلَانُ تَلَعَبُ بِالْمَحَاوِكِ أَمْلُهُ عَلَى الشَّدَا لَعِبَ الْأَيَّامِ بِالْدُّوْلِ
مَا إِنْ بِنَى تَعَبَ الْأَطْرَافِ مُشْتَغِلَا أَفْدَبَهُ مِنْ تَعَبِ الْأَطْرَافِ مُشْتَغِلِ
جُنْدِيَا بِكَفِيهِ أَوْ فَحْصَا بِإِخْمَصِهِ تَحَبَّطُ الظُّبَى فِي أَشْرَاكِ مَخْتَبِلِ
لَا يَشِقُ غِبَارُهُمْ وَلَا تَلْحَقُ آثَارُهُمْ . وَأَمَّا مِثْلُ قَوْلِ ابْنِ الْمَعْلَمِ الْوَاسِطِيِّ :
وَحَلُّوا بِأَفْتَدَةِ الرِّجَالِ وَغَادَرُوا بِصَدُورِهَا فِكْرًا هِيَ الْأَشْجَانُ
وَاسْتَقْبَلُوا الْوَادِي فَاطْرَقَتِ الْمَهَا وَتَحَيَّرَتْ بِغُصُونِهَا الْكُثْبَانُ
فَكَأَنَّمَا اعْتَرَفَتْ ضَحَى بِقُدُورِهَا الْأَغْصَانُ أَوْ بَعْيُونِهَا الْغَزْلَانُ

وقول ابن التعاويذي :

إِنْ قَلْتُ جُرْتُ عَلَى ضَعْفِي يَقُولُ مَتَى
كَانَ الْمَحَبُّ مِنَ الْمَحْبُوبِ مُنْتَصِفًا ؟
وَقَلْتُ أَتَلَفْتُ رُوحِي قَالَ لَا عَجَبُ مِنْ ذَاقَ طَعْمَ الْهُوَى يَوْمًا وَمَا تَلَفَا ؟
قَدْ قَلْتُمْ الْغِصْنَ مِيَالًا وَمَنْعَطِفُ فَكَيْفَ مَالٌ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَطَفَا
فَطَرَازٌ لَا يَلِمُ بِهِ أَهْلُ بِلَادِكَ .

فقلت : المحاسن - أعزك الله - مقسمة ، وفي المغاربة من تنفث في
أشعاره أسحتار الكلام ، وتم عليها أسرار الغرام ، مثل الوزير أبي الوليد بن
زيدون في قصيدته التي منها :

بَنَّمْ وَبَنَا فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَتْ مَاقِينَا

وسرد ابن سعيد القصيدة :

قال (ابن سعيد) ثم أمسكت فقال : ما أنشأت أندلسكم مثل هذا الرجل
في الطريقة الغرامية وأظنه كان صادق العشق .

قلت : نعم ، كان يعشق أعلى منه قدراً ، وأرق حاشية ، وألطف ظرفاً
وهي ولادة بنت المستكفي المرواني ، علقها بقرطبة حضرة الملك .

ثم إن ابن سعيد قص عليه ذكر جماعة من المغرب ، وذكر انفصاله من
ذلك المجلس ثم قال :

ووصلت إلى ميعاده فوجدته بخزانة كتبه فكانت أول خزانة ملوكية
رأيتها ، لأنها تحتوى على خمسة آلاف سفر ونيف ، وذكر أنه أمره بحفظ
أشعار التلعفري والحاجري (وابن الفارض) وأنه قال له يوماً : أجز :

يابان وادى الأجرع

فقات سقيت غيث الأدمع

فقال (البهاء زهير) :

قاربت ولكن طريقتنا أن نقول :

هل ملت من شوق معي ؟

فقلت الحق ما عليه غطاء . هذا أولى

ولازمته بعد ذلك نحو ثلاثة سنين أنشدته في أثنائها ما يزيد لي أن أنشدته
قولي :

وا طول شوقي إلى ثغورٍ ملأى من الشهدِ والرحيقي
عنها أخذتُ الذي تراه يعذبُ في شعري الرقيقِ

فارتاح وقال :

سلكت جادة الطريق وما تحتاج إلى دليل . انتهى .

قلت :

توفي صاحب الترجمة في سنة ست وخمسين وسمائة رحمه الله.

تعليقات :

* يترجم الصفدى فى الوافى بالوفيات لحياة البهاء زهير ترجمة مفصلة
للغاية تبدأ ب :

زهير بن محمد بن على بن يحيى بن الحسن بن جعفر العلامة الأديب البارع
الكاتب صاحب بهاء الدين زهير ، أبو الفضل وأبو العلاء الأزدي المهلبى
القوصى الأصل المكي المولد ، المصرى الدار والوفاة .

ولد بمكة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، ونشأ بالقاهرة ، وحفظ القرآن
العزير ، وسمع من على بن أبى البنا وغيره واشتغل وبرع فى عدة علوم كالفقه
والعربية واللغة ، وأما الأدبيات فكان يضرب به المثل فيها كان إمام وقته
وفريد عصره لا سيما فى البلاغة ورقة الألفاظ . وديوان شعره مشهور .

قال بعض الفضلاء :

« ما تعاتب الأصحاب ولا ترأسل الأحباب بمثل شعر البهاء زهير وشعره
فى غاية الانسجام والعدوبة والفصاحة وهو السهل الممتنع » .

(١) على بن أبى البنا : ذكره صاحب الشذرات ج ٥ ص ١٠٠ « طبعة
القاهرة » ضمن وفيات سنة اثنين وعشرين وسمائة : وفيها توفي ابن البنا
راوى جامع الترمذى عن الكدروخى : أبو الحسن على بن أبى الكرم نصر
ابن المبارك العراقى ثم المكي الحلال ، حدث بمصر والإسكندرية وقوص
وأماكن ، وتوفى بمكة .

(٢) فى السوافى : دعابة .

(٣) سعد الدين ابن عربى الشاعر ، أبوه المتصوف الشهير محى الدين

بن عربى . ولد سعد الدين فى ملطية ٦١٢ توفى ٦٥٦ فى دمشق . له ديوان مخطوط وبعض كتب أخرى انظر عنه الوافى بالوفيات ١٨٦/١ .

(٤) القاضى الرشيد أبو الحسن بن الزبير صاحب كتاب جنان الجنان أشاد به ابن خلكان كما نوه بأخيه المهذب ابن الزبير وقال إنهما « كانا مجيدين فى نظمهما ونثرهما » . وتشير المصادر إلى أن القاضى الرشيد كان أسود البشرة مشهوراً بالطرف .

انظر عنه ابن خلكان : الوافيات ج ١ / ١٦٠ طبعة إحسان عباس .

(٥) فى المنهل : ذكر الأديب البارع .

(٦) فى المنهل : طرقت البلاد لأكتب من شعر البهاء زهير الحجازى ، فكان مما لعب بخاطرى . . . الخ .

(٧) الوافى : على أن .

(٨) المنهل : معه .

(٩) المنهل : يا شوق أدمعى .

(١٠) ساقط من المنهل .

(١١) الوافى : أسراره .

(١٢) المنهل : لا تنزلت .

(١٣) الوافى : أنك .

(١٤) المنهل : علوية .

(١٥) المنهل : فطريقه .

(١٦) الأبيات فى ديوان ابن خفاجة طبعة د. السيد مصطفى غازى .

ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٠ - الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية ص ٢٨٥ يتصدرها « وقال يصف عشية يوم أنس » وفيها : أضجعتنى بدلا من أضجعتنا .

(١٧) المنهل : أضعجت .

(١٨) المنهل : خلف .

(١٩) أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي ت ٥٧٢ هـ انظر عنه المغرب ٣٤٢/٢ وما بعدها - ابن خلكان ٨/٢ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٢١٧ - ٢٢٣ - الزركلي : ٢١٧/٧ .

ولم نعتز على الأبيات في ديوان الرصافي البلنسي ط د . إحسان عباس ١٩٦٠ بيروت . وهي في المغرب ٣٥٢/٢ ضمن أبيات بعنوان : وقوله في غلام حائك . وفي المغرب « غزير لم تزل في الغزل جائلة » وفي المنهل : وغزير .

(٢٠) في المغرب : يلعب بالهراك .

(٢١) في المغرب جدبا ، في المنهل : يحبط الطبي ، في الوافي تحبط الضبي

وقد قابل شوقي ضيف النص على النصح ١٣٧/٢ ط أوربا والزيات وسفيته ابن مباركشاه وتسبقها في المغرب الأبيات التالية :

قالوا وقد أكثروا في حبه عدلى لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو أن أمرى في الصبابة لى لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لى
علقته حبي الثغر عاطره ألمى المقبل أحوى ساحر المقل
إذا تألمته أعطاك ملتفتا ما شئت من لحظات الشادن الغزل

(٢٢) ابن المعلم الواسطى الهرقى ٥٠١ - ٥٩٢ شاعر رقيق من أهل واسط يغلب على شعره الغزل والنسيب مولده ووفاته بالهرت قرب واسط له ديوان شعر مخطوط . انظر عنه الزركلي ١٦٧/٧ - وفيات الأعيان ٢٢/٢ ، النجوم الزاهرة ١٠٢/٦ ، ١٠٤ ، ذيل الروضتين ٩ ، مرآة الزمان ٤٥١/٨ .

(٢٣) الوافي : اعترفت لهم .

(٢٤) محمد بن عبيد الله بن عبد الله أبو الفتح ، المعروف بابن التعاويذي
أو سبط ابن التعاويذي : شاعر العراق في عصره ، من أهل بغداد مولده ووفاته
فيها ولي بها الكتابة في ديوان المقاطعات وعمى ٥٧٩ له ديوان شعر وكتاب
الحجية والحجاب انظر عنه النجوم الزاهرة ١٠٥/٦ ، ابن خلكان ١٩/٢-٢٢ ،
الزركلي ١٤١/٧ - عاش من سنة ٥١٩ - سنة ٥٨٣ .

(٢٥) الأبيات في الديوان ط القاهرة ١٩٠٣ بتحقيق مرجليوث ص ١٩٥
من قصيدة مطلعها :

لم يبق للمشتاق إذ وقفنا إلا ادكار رسوم تبعث الأسفا

(٢٦) الوافي : فاتلفا .

(٢٧) في الديوان : ما قلتم .

(٢٨) المنهل : صعب من .

(٢٩) المنهل : ثم قص عليه

(٣٠) الوافي : طرفا .

(٣١) المنهل : ثم قصى عليه

(٣٢) الوافي : وصلت .

(٣٣) التلعفري : محمد بن يوسف بن مسعد الشيباني ، شهاب الدين ،
أبو عبد الله التلعفري الشاعر من ٥٩٣ - ٦٧٥ - نسبته إلى تل أعفر ولد
وقرأ بالموصل وسافر إلى دمشق فكان من شعراء صاحبها الملك الأشرف
موسى الأيوبي له ديوان شعر انظر عنه فوات الوفيات ٢٧٧/٢ معجم البلدان
٤٠٢/٢ الزركلي ٢٥/٩ .

(٣٤) الحاجري : عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري حسام الدين
شاعر رقيق الألفاظ حسن المعاني تركي الأصل من أهل إربل ينسب إلى
حاجر من بلاد الحجاز ولم يكن منها وإنما أكثر من ذكرها في شعره فنسب

إليها ، قتل غدرأ بإربيل ٦٣٢ هـ . له ديوان شعر . انظر عنه وفيات الأعيان ٣٩٨/١ الزركلى ٢٨٧/٥ .

(٣٥) عمر بن علي بن مرشد على الحموى الأصل . المصرى المولد والدار والوفاء ، أبو حفص وأبو الفارض ٥٧٦ - شرف الدين بن الفارض ٦٣٢ . أشعر المتصوفين ، يلقب بسطان العاشقين . فى شعره فلسفة تتصل بما يسمى وحدة الوجود انظر عنه وفيات الأعيان ٣٨٣/١ ، شذ ١ الذهب ١٤٩/٥ الزركلى ٢١٦/٥ .

(٣٦) المنهال : فقال ابن سعيد .

(٣٧) الوافى : سجب .

(٣٨) الوافى : فقال له .

(٣٩) لا تملك تحديداً واضحاً لدلالة كلمة طريقة هنا والطريقة التي ذكرها البهاء زهير تشبه ما جاء فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٢ - ١٣ طبعة ليدن ١٩٠٢ « تحقيق دى غويه » من أن المفضل الضبي قال لهارون الرشيد أتعرف بيتاً أوله أعرابى فى شملته هاب من نومته كأنما صدر عن ركب جرى فى أجفانهم الوسن فركد يستفزهم بعنجهية البدو وتعجرف الشدو ، وآخره مدنى رقيق قد غدى بماء العقيق . قال : لا أعرفه قال هو بيت جميل بن معمر ألا يا أيها الركب النيام الأهبوا . ثم أدركه رقة المشوق فقال :

أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

قال صدقت .

وفى الغيث المنسجم للصفدى « ط بيروت ١٩٧٥ » ج ٢ ص ٣٦٧ خبر مشابه لما ذكره ابن قتيبة فيه أن صاحب « الأغاني » روى عن الهيثم بن عدى قال : قال لى صالح بن حسان يوماً : نصف بيت كأنه أعرابى فى شملة والآخر كأنه مخنث يتفكك قلت لا أدرى .

قال : أجلتلك حولاً . قلت لو أجلتني عشراً ما عرفته . قال : أف لك ، قد كنت أحسبك أجود ذهناً من هذا .

قلت فما هو ، قال قول جميل :

الأيها النوام ويحكم هبوا

هذا كلام أعراب ثم قال :

نسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

كأزه والله من مخنثي العقيق .

(٤٠) الواني : عطاء ، المنهل : غطا .

(٤١) المنهل : أنشده في أثنائها قولي :

(٤٢) البيتان في بدائع الزهور لابن إياس تحقيق محمد مصطفى القسم

الثاني ص ٢١٧ . « فيسبا دي ١٩٧٤ » منسوبان لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن علي بن جابر الأعمى صاحب البديعية المشهورة .

فهرس العدد

صفحة

المحتوى

١ - المخطوطات العربية في العالم :

تطور فهرسة المخطوطات في العراق

بقلم الأستاذ / كوركيس عواد ٣

٢ - التعريف بالمخطوطات :

الصغاني ، أبو الفضائل رضى الدين

بقلم الأستاذ / عبد الستار أحمد فراج . . : ٥١

الرسالة العرشية لابن سينا

تحقيق وتقديم

الدكتور / إبراهيم هلال ٦٥

صحيفة عبد الله بن لهيعة

بقلم الدكتور م . موراني ١٠٧

صفحة

المحتوى

مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر

لليعقوبي

تحقيق د / محمد كمال الدين عز الدين . . . ١٢١

٣ - التعريف والتقد :

لقاء بين شاعرين

تحقيق د / سعيدة محمد رمضان . . . ١٦٦

مطبعة التقدم

٢٤ شارع الموارس المنيرة ت ٨٤١٤٤١

رقم الإيداع ٣٢٨ / ٨١